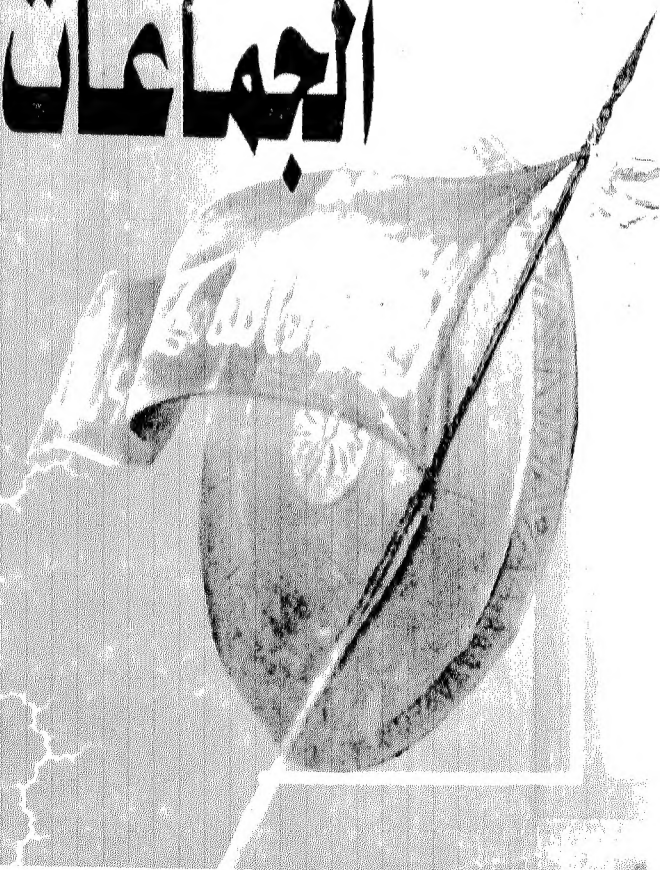


دكتور  
محمد عبد الحليم

# الحوار بين الجماعات الإسلامية



اهداءات ٢٠٠٢

د/ محمد سيد احمد المسير

القاهرة

دكتور  
محمد سيد احمد السيد

بين  
الجماعات  
الإسلامية

# الحوار

الطبعة الأولى  
١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م  
حقوق الطبع محفوظة لل المؤلف

---

دار الطباعة المحمدية  
عبدالله بن محمد بن عبد الله



## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ..

أما بعد ..

فقد أتى على المسلمين حين من الدهر كانوا أمة واحدة ، وصفا  
واحدا ، ملتزمين بالأمر القرآني :

«واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» (١)

ثم جددت أسباب داخلية وخارجية ، قسمت المسلمين إلى شيع  
وأحزاب ، بدأت بالاعتقال واستقرت على التعصب الفكري البغيض ..

ولقد حان الوقت كيلا يضرب بعضنا رقاب بعض ، وأصبح من  
الضروري الختمى أن يلتقي المسلمون على كلمة سواء ، في مواجهة الزحف  
الصليبي الصهيوني ، والغزو الفكري ، والنظام العالمي الجديد ..

إن المسلمين تجمعهم كلمة التوحيد ، ويرفعون القرآن فوق الهامات ،  
ويحفظونه في الصدور والسطور ، ويغارون على حدود الله ، ويتحلقون  
حول الكعبة المشرفة ، ويقفون على صعيد واحد من الجبل المبارك في  
أرض عرفات ..

إن الفرق والجماعات الإسلامية ، سواء كانت :

فرقا كلامية تجادل في العقيدة ..

---

(١) سورة آل عمران - الآية ١٠٣

- ٤ -

أو اتجاهات فلسفية تحاول التوفيق بين الوحي الإلهي  
والحكمة البشرية .

أو مذاهب فقهية تسعى إلى معرفة حكم الله في العبادات  
والمعاملات ..

أو طرقاً صوفية تهتم بالأخلاق والسلوك والمجاهدة ..

أو أحزاباً سياسية تسعى إلى السلطة وإقامة العدل ..

إن هذه الفرق كلها مدعوة إلى الحوار ، كوسيلة للتقارب ، وأسلوب  
للتفاهم ، وأداة للتلاقى ..

ولا شيء يمتنع فيه الحوار ، ولا أحد يتأني عليه ، فالرجوع إلى الحق  
خير من التماهى في الباطل ، والحكمة ضالة المؤمن ، والدين النصيحة ..

ونحن نعتقد أن الاجتهاد فريضة إسلامية ماضية إلى يوم القيامة ، وأن  
من اجتهد فأصاب فله أجران ، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر .

وقد جاء هذا البحث ليحدد القضايا التي يدور حولها الاجتهاد ، ومن  
ثم يدلى الفرقاء برأيهم ، ويسوقون أدلتهم ، وينظرون في فكر الآخرين  
بصفاء النية ، وحسن الوعي ، وإخلاص القلب لله ..

فهذه دعوة للحوار ، وتلك هي محاوره .

ويقع البحث في ثلاثة أبواب :

الباب الأول : ضرورة الحوار .

وفيه فصلان : ١ - الحوار وأنواعه في البيان القرآني .

٢ - مخاطر الأهواء .

وتسكلمنا في الفصل الأول عن تعريف الحوار ، وأنواع الحوار .

القرآني في أطرافه ، وموضوعاته ، وأوقاته ، ونتائجه .

- • -

وأكدنا أن الحوار غاية العقل، وهو حوار تحكمه آداب وقيم ،  
تحتزم المحاور ، وتعلو من قيمة العقل ، وتمهد للوصول إلى الحق .  
وتكلمنا في الفصل الثاني عن مخاطر الأهواء كما بينها القرآن وكما  
ظهرت من تاريخ الفرق الإسلامية .

فإن الهوى هو الخروج على موازين العقل الصحيح ، وإيثار الشهوات  
في الأنفس والأموال والأولاد ، والتمرد على القيم ، والتعالى على الحق .  
وقد يكون لنشأة الفرق أسباب غير معرفة الحق ، لكن بعد استقرار  
الفرق وشيوعها وجد لها دعاة ينتصرون لها ويقيمون دعائمها الفكرية ،  
ومن الممكن أن ينضوى ذلك تحت الاجتهاد المقبول ، لولا أنه في فترات  
تاريخية ساد التعصب البغيض ، وتحول الدفاع إلى إرهاب سياسي أو  
إرهاب فكري .. ١١

الباب الثاني : ضوابط الحوار .

وفيه فصلان : ١ - الاجتهاد بين العقيدة والفقه .

٢ - أصول الإسلام .

وجاء الفصل الأول ليقدم تعريف الاجتهاد ، ومؤهلات المجتهد ،  
وحكم الخطأ في الاجتهاد سواء كان الاجتهاد في المقدييات والأصول أو  
في العمليات والفروع .

وسقنارأى الإمام أبى حامد الغزالي والإمام الطوفي ، وعقبنا بما  
يؤكد أن الكافر أحد شخصين :

• مستكبر يرفض الإيمان حسداً وبغياً .

• مقلد أطفأ نور العقل ولم ينظر في دلائل الحق

قال الله تعالى : «إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ، ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب» (١) .

أما المجتهد فله حكم آخر ، وله موقف مغاير ، يوضحه قوله تعالى : «إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ، ويؤت من لده أجرًا عظيمًا» (٢) .

هذا هو حكم الله في الآخرة ، أما حكمنا - نحن البشر - على شخص بالإيمان أو الكفر فهو مرتبط بالإقرار بعقائد الإيمان وأركانه ، فمن أقر فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن رفض فهو الكافر يعامل بمقتضى ما ظهر منه ، لأنه لا اطلاع لنا على خفايا الصدور .

والكافر عندنا أحد رجلين : رجل ألقى إلينا السلم فهو في ذمة الله ورسوله وللمؤمنين ، ورجل حمل علينا السلاح فيجب مقاومته ورد العدوان وتأمين الدعوة .

ثم تكلمنا في الفصل الثاني عن أصول الإسلام وضوابط الأصول والفروع ، و انتهينا إلى أن ما كان قطعي الثبوت ، قطعي الدلالة فهو أصل من أصول الإسلام . .

وأما ما فقد القطع في ثبوته أو دلالاته فليس أصلاً يترتب عليه إيمان أو كفر ، وهو بما يجوز فيه الخلاف .

ولا نظن أن الفرق الإسلامية غير الغالية خالفت في أصل من أصول الإسلام .. II

(١) سورة البقرة - الآية ١٦٦

(٢) سورة النمل - الآية ٢٥



### الباب الثالث : قضايا الحوار :

تجاوزنا الحديث عن أسباب نشأة الفرق بين المسلمين ، لأنها لا تختلف في أى دين أو ملة أو مجلس ، لكن الجوئيات هى التى تتخذ شكل الزمان أو المكان أو العقيدة .

ففى جميع الملل ينضوى أفراد لهم خيال الشعراء أو حكمة الفلاسفة أو سلوك الأوابين .

وفى كافة الأديان هناك من ينجح إلى التأويل والإكبار للعقل الإنسانى ، وهناك من يلتزم النص ويقف عند الطوامر .

وفى سائر الأديان وجد المنافقون والخائفون وأصحاب الهوى . وترى بكل أمة أعداء من الخارج يسعون لاستئصال شأقتها . ومن هنا فلسنا نقف عند الأسباب فى حد ذاتها ، وإنما نبحت عن القضايا التى تخص الأمة الإسلامية ، والتى دار حولها الاقتراق .

وهذه القضايا هى :

- التوحيد والصفات الإلهية .
- القضاء والقدر والتكليف الإنسانى .
- الإمامة والخلافة ونظام الحكم .
- وعده ووعيده وحكم مرتكب الكبيرة .
- فقه العبادات والمعاملات .
- الفكر الوافد .
- التجديد الدينى .

لقد تحدثنا عن الجذور الأولى لهذه القضايا فى الأمة الإسلامية ،

- ٨ -

وذكرنا التساؤلات التي طرحت حولها ، وطالبنا بمناقشتها من جديد  
لتمييز الأصول من الفروع ، وليبين ما نلتقى حوله وما يبرز فيه الخلاف ،  
ولتحديد ما كان تاريخياً مضى فتكف عنه ، وما يكون متصلاً بحاضرنا  
ومستقبنا فنقدم الحلول ، ونصوغ الفكر المشترك ...

« يا أيها الذين آمنوا :

اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ، » (١) .

مكة المكرمة في { ٢١ من المحرم ١٤١٧ هـ  
٧ / ٦ / ١٩٩٦ م }

أبو حذيفة

د . محمد سيد أحمد المسير

أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر

بالقاهرة

وجامعة أم القرى بمكة المكرمة

# الباب الأول

## ضرورة الحوار

الفصل الأول :

الحوار وأنواعه في البيان القرآني

الفصل الثاني :

مخاطر الأمواء



## الفصل الأول

### الحوار وأنواعه في البيان القرآني

#### تعريف الحوار

- أنواع الحوار في أطرافه
- أنواع الحوار في موضوعاته
- أنواع الحوار في أوقاته
- أنواع الحوار في نتائجه
- النماذج القرآنية



## الحوار وأنواعه في البيان القرآني

مضى تعدد المجتهدون ، وتباينت آراؤهم — كان الحوار وسيلة للتقارب ، وأسلوباً للتفاهم ، وأداة للتلاقى .

وتبادل الفكر هو طبيعة البشر ، وسنة الحياة الإنسانية ، ولا شيء .  
يُمْتَنَعُ فيه الحوار ، ولا أحد يتأبى على الحوار .. فالرجوع إلى الحق خير  
من التماهى في الباطل ، والعقلاء يصعدون إلى الوصول إلى الحق دون  
مكابرة ، والحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها ، ولا يضره من .  
أين خرجت ..

### تعريف الحوار :

الحوار هو مراجعة الكلام وتبادل بين طرفين متخالفين ، يلتصر كل  
منهما لرايه ، ويقدم دليله على معتقده ، وغبة في أن يظهر الحق لأحدهما .  
ويلتقى الطرفان على رأى واحد يجمعهما ..

وهذا الحوار — فى معناه الصحيح — هو غاية العقلاء ، ومنتهى .  
مقصدهم ، وهو حوار تحكمه آداب وقيم ، تحترم المحاور وتعمل من قيمة .  
العقل وتمهد للوصول إلى الحق ، وتجعل الحوار بناء ، لا يعرف الكبرياء .  
والرفض الأرعن ، أو اللعن القبيح أو الكلم السيئ ..

\* \* \*

وإذا تصفحنا آيات الكتاب العزيز وجدنا ألواناً من الحوار ، وأنواعاً  
من الجدل ، تعددت أطرافها وموضوعاتها ونتائجها وأوقاتها ..

- ١٤ -

### من أنواع الحوار في أطرافه :

ما جرى بين الله تعالى وملائكته .

وبين الله تعالى ورسوله .

وبين الله تعالى وإبليس .

وبين الأنبياء والملائكة .

وبين الأنبياء وأرحامهم .

وبين الأنبياء وأقوامهم .

وبين البشر بعضهم بعضاً .

### ومن أنواع الحوار في موضوعاته :

مدار حول وجود الله تعالى ووحدانيته .

وحوله البعث واليوم الآخر .

وحوله النبوة والاصطفاء .

وحول الوجود وحكمته .

وحول العلاقات الاجتماعية في مبرأها وضرائها .

### ومن أنواع الحوار في أوقاته :

ما وقع على مدار التاريخ الإنساني وما سيقع في مواقف القيامة ،

في العشر أو في الجنة أو في النار .

### ومن أنواع الحوار في نتائجه :

ما انتهى إلى التسليم والإذعان ، وما انتهى إلى المكابرة والتمرد ،

وما انتهى إلى الحسرة والتندم ..

• • •



## النماذج القرآنية :

### ١ - بين الله وملائكته :

اعمل أول محاوره وردت في المصحف الشريف هي محاوره المولى سبحانه وتعالى مع ملائكته حول خلق آدم ..

« وإذ قال ربك للملائكة : إني جاعل في الأرض خليفة .

قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسير بحميدك ونقدس لك ؟

قال : إني أعلم ما لا تعلمون ، وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال :

أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ؟

قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم .

فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ، (١) :

فطروفا المحاوره هنا هما : الله جل جلاله والملائكة .

وموضوع المحاوره هو حكمة خلق آدم .

وأسلوب المحاوره قائم على المواجهه والتجربة العملية ، ويتجلى فيه التعظيم والتقدير من الملائكة للخالق الأعظم سبحانه وتعالى ، وينتهى بالتسليم التام من الملائكة ..

\* \* \*

(١) سورة البقرة — الآية ٣٠ : ٣٣ .

- ١٦ -

## ٢- بين الله ورسله :

نسوق هنا ما جاء في موقف الاصطفاء لموسى عليه السلام للنبوّة  
والرسالة :

« وهل أتاك حديث موسى ، إذ رأى نارا ، فقال لأهله امكثوا إني  
آنست نارا ، لعل آتيكم منها بقبس أو أجدها » النار هدى ، فلما أتاها  
نودي :

يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى ،  
وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ، إني أنا الله ، لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم  
الصلاة لذكري ، إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجوزى كل نفس بما تسعى ،  
فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ..

وما تلك يمينك يا موسى ١٩

قال : هي عصا أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ، ولى فيها مآرب  
أخرى ..

قال : ألقها يا موسى .

فألقاها فإذا هي حية تسعى .

قال : خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى ، واختم يدك إلى جناحك  
تفخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ، لنريك من آياتنا الكبرى ، اذهب  
إلى فرعون إنه طغى .

قال : رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ، واحلل عقدة من لساني  
يفقهوا قولى ، واجعل لى وزيراً من أهلى ، هارون أخى ، أشدد به أزرى ،  
وأشركه فى أمرى ، كى نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً ، إنك كنت بنا بصيراً .

قال : قد أوتيت سؤالك يا موسى ، (١) .  
موضوع هذه المحاوره هو الاصطفاء للنبوته ..  
وطرفاها هما الله عز وجل وموسى عليه السلام ..  
وأسلوبها قائم على التهديد والتذكير والتلبيه والتموين والتكليف  
والتحبيب ..

فهو تهديد بدنى ونفسى ، يظهر فى خلع النعلين لطهارة المكان ، والتذكير  
بالالوهية المقدسة المستحقة للعبادة الخالصة ، والتلبيه على العاقبة الكبرى  
فى المصير الإنسانى العام .

وهو تمرين يتجلى فى معجزة العصا وإخراج اليد بيضاء ، فقد وقعت  
التجربتان أمام موسى عليه السلام ثم حاد كل شئ إلى سيرته الأولى  
وطبيعته السابقة .

وهو تكليف لموسى بحمل أمانة الدعوة والتبليغ للرسالة إلى فرعون  
وقومه .

وهو تحبيب وتشويق حيث استجاب الله تعالى دعاء موسى فى شرح  
الصدور وتيسير الأمر وحل العقدة وإشراك أخيه معه فى الرسالة ..

### ٣ - بين الله تعالى وإبليس :

محاوره الله تعالى لإبليس فى شأن امتناعه عن السجود لأدم تكررت  
كثيرا فى القرآن الكريم ، فى سور البقرة ، والأعراف ، والحجر ،  
والإسراء ، وص ، .. قال تعالى :

« فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ،

---

(١) سورة طه ٩ - ٣٦

(٢ - الحوار)

قال : يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ، أستكبرت أم كنت من العالين .

قال : أنا خير منه خلقتني من نار ، وخلقته من طين .

قال : فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين .

قال : رب فأظرني إلى يوم يبعثون .

قال : فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم .

قال : فبعضك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين .

قال : فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين..(١)

والشيء العجيب هنا أنه رغم البون الشاسع بين طرفي المحاورة فإن ذلك لم يمنع الحوار والاستماع إلى نهاية المطاف ..

وقد ذكر الإمام الشهرستاني أن شبهة إبليس اللعين مصدرها استبداده بالرأى في مقابلة النص ، واختياره الهوى في معارضة الأمر ، واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم عليه السلام وهي الطين .

وأكد الشهرستاني أن شبهات فرق الزيغ والضلال والكفر ترجع جملتها إلى تلك الشبهة الأولى .

فاللعين الأول لما حكم العقل على من لا يحكم عليه العقل لزمه أن يجري حكم الخالق في الخلق ، أو حكم الخلق في الخالق ، والأول غلو والثاني تقصير ، فثار من الشبهة الأولى مذاهب الحلولية والتناسخية والغلاة من الروافض ، حيث غلوا في حق شخص من الأشخاص حتى وصفوه بأوصاف الإله .

وثار من الشبهة الثانية مذاهب القدورية والجبورية والمجسمة حيث  
قصروا في وصفه تعالى حتى وصفوه بصفات المخلوقين .. (٢)

#### ٤ - بين الأنبياء والملائكة :

ومن نماذج ذلك ما جاء في شأن إبراهيم الخليل وضيغه المكرمين  
من الملائكة ، كقوله تعالى :

« ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبرى ، قالوا : سلاماً  
قال : سلام

فالبث أن جاء بعجل حنيد ، فلما رأى أيديهم لاتصل إليه نكزم  
وأوجس منهم خيفة ، قالوا : لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط .

وأمراته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب  
قالت : يا ويلتا أأله وأنا عجوز ، وهذا بعلى شيخا ، إن هذا لشيء عجيب  
قالوا : أتمجيبين من أمر الله ، رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه  
حميد مجيد .

فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ،  
إن إبراهيم لحليم أواه منيب .

يا إبراهيم أعرض عن هذا ، إنه قد جاء أمر ربك ، وإنهم آتيهم  
عذاب غير مردود (١) .

والملاحظ أن الحوار هنا تعدد في أطرافه وموضوعاته وتناججه ،  
فأطرافه الملائكة وإبراهيم وزوجه سارة ..

---

(٢) الملل والنحل / تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ص ١٤ : ١٨ ط دار  
الفكر - لبنان .

(٢) سورة هود - الآية ٦٩ ، ٧٦

— ٢٠ —

وموضوعاته هي : البشرى بالسلام العليم إسحق من زوجه ساره ورفض الضيف للطعام المقدم . والحديث بشأن قوم لوط والعقاب الواقع عليهم .

وكانت نتائج الحوار بالنسبة للموضوع الأول القبول والسرور ، وبالنسبة للموضوع الثاني هو التفهم لطبيعة هؤلاء الضيف وأنهم ملائكة منزهون عن المآكل والمشارب .

وبالنسبة للموضوع الثالث هو التنبيه على إبراهيم بعدم الخوض فيه ، لأنه قضاء مبهم من الله عز وجل ، وقد طمأنته الملائكة على ما كان يخشاه على لوط وأهل بيته فلم يمسهم سوء ما عدا زوجه الخائنة كما جاء في قوله تعالى في سورة أخرى :

« قال : إن فيها لوطا .

قالو : نحن أعلم بمن فيها لتنجينه وأهلكه إلا امرأته كانت من الغابرين » (١)

### • — بين الأنبياء والأولياء :

مثال ذلك الحوار العجيب العميق بين موسى عليه السلام والعبد الصالح ، عندما ذهب موسى وقتاه إلى مجمع البحرين والتقى بعبد آتاه الله رحمة ، وعلمه علما يتخطى حجب الزمان والمكان ، ويستشرف الغايات الكبرى ، ويتطلع إلى العواقب التي تخفى على العقول وتحارب فيها الآلاب .

وقد سجل القرآن المجيد هذا الحوار بأسلوب شائق معجز فقال :  
« قال له موسى : هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا . قال : إنك لن تستطيع معي صبرا ، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا .

(١) سورة العنكبوت : الآية ٣٢ .

- ٢١ -

قال : ستجدني إن شاء الله صابرا ، ولا أصعب لك أمرا . . .  
 قال : فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا . . .  
 فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها ،  
 قال : أخرقها لتغرق أهلها ، لقد جئت شيئا إمرا . .  
 قال : ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا ؟  
 قال : لا تؤاخذني بما نسيت ، ولا ترهقني من أمري عسرا . .  
 فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله . .  
 قال : أقتلت نفسا زكية بغير نفس ، لقد جئت شيئا نكرا .  
 قال : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا ؟  
 قال : إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني ، قد بلغت من لدني عذرا . .  
 فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ،  
 فوجدوا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه . .  
 قال : لو شئت لاتخذت عليه أجرا . . .  
 قال : هذا فراق بيني وبينك ، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه  
 صبرا . . . (١) .

لقد بدأ اللقاء بحوار حول الصحبة من أجل العلم الرشيد ، واشترط  
 العبد الصالح على موسى أن يصبر صبرا تاما ، وأن يتلقى الأمور بالصمت  
 الكامل حتى يستبين الحكمة وتصل إليه بهدوء .

وبدأت سلسلة من الأحداث ، كل لاحق منها أعمق من سابقه وأدعى  
 إلى الحيرة ، ولم يتحملها موسى ، وتغجل السؤال عن حكمتها ، وجاءه التنبيه

— ٢٢ —

تلقوا التبييه بضرورة الصبر والالتزام بشرط الصحة ، وعقب الحدث الثالث كان لابد من بيان عاجل وفراق لا مفر منه .

وأعلن العبد الصالح نماذج من حكمة الوجود العليا ، فكان خرق السفينة انقاذا من ظلم الملك الطاغية ، حفاظا على حق أهلها المساكين .

وكان قتل الغلام انقاذا لأبويه وحماية لهما من الكفر .

وكان إقامة الجدار انقاذا ليتيمين ترك أبوهما كنزا تحت الجدار .

وفي ذلك ما يدفع الناس إلى صدق اليقين بالله ، وحسن التوكل عليه ، والرضا بما قسم الله .

#### ٦ — بين الأنبياء وأرحامهم :

مثال ذلك الحوار اللطيف البليغ بين إبراهيم الخليل وأبيه حول عبادة الأصنام .. قال تعالى : « واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا ، إذ قال لأبيه :

يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يقنى عنك شيئا .

يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا .

يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا .

يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا  
قال :

أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم ، لئن لم تنته لأرجنك وأهجرنى مليا

قال : سلام عليك سأستغفر لك ربى ، إنه كان بى حفيا ، وأهزلكم



وما تدعون من دون الله ، وأدعو ربى عسى أن لا أكون بدعاء ربى  
شقياء (١) .

لقد بدأ الحوار بتأكيد معانى البنوة والآبوة التى تقتضى الرحمة  
وصدق الود وغالض المشاعر .

وأوضح إبراهيم أنه صاحب دعوة خير ، وأولى الناس بها أبوه وأهله .  
وأقام إبراهيم الحجة على آبيه بأن الأصنام صماء عمياء بكاء ، لا تملك  
لنفسها ولا لغيرها نفعا أو ضرا ، وأن هذا الانحراف العقدى من  
تزيين الشيطان الذى يسعى لإضلال البشر وإفساد الفطرة ... فى  
وقت تتوالى النعم من الله بلا انقطاع وتستمر العطايا الإلهية  
بلا توقف .

لكن الرجل لم يفهم ، وطغت عليه طبائع الكفر واستحكمت فيه  
هادات البيئة الفاسدة ، فتوعد إبراهيم بالرجم إذا لم ينته عن دعوته .

وقابل إبراهيم وعيد آبيه بالصفح ، ودعاه إلى التمهّل عسى أن تأتبه  
لحظة فتح أو نفحة رحمة أو ومضة نور .

#### ٧ — بين الأنبياء وأقوامهم :

من نماذج ذلك موقف نوح عليه السلام فى جداله مع قومه ، وقد  
ساقه القرآن المجيد فى سور متعددة منها قوله تعالى فى سورة هود :

ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه :

إنى لكم نذير مبين ، ألا تعبدوا إلا الله ، إنى أخاف عليكم عذاب  
يوم أليم .

— ٢٤ —

فقال الملك الذين كفروا من قومه :

ما نراك إلا بشرا مثلنا ، وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي  
الراى ، وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين .

قال :

يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى ، وآتاني رحمة من عنده  
فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون .

ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ، إن أجرى إلا على الله ، وما أنا بطارد  
الذين آمنوا ، إنهم ملاقو ربهم ، ولكنى أراكم قوما تجهلون .

ويا قوم من ينصرنى من الله إن طردتهم أفلا تذكرون ؟

ولا أقول لكم عندى خزانة الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول إنى  
ملك ، ولا أقول للذين تزددى أعينكم لى يؤتيهم الله خيرا ، الله أعلم  
بما فى أنفسهم ، إنى إذا لمن الظالمين .

قالوا :

يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت  
من الصادقين .

قال :

إنما يأتىكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ، ولا ينفعكم نصيحى  
إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ، هو ربكم وإليه  
ترجعون . أم يقولون افتراه ، قل إن افتريته فعلى إجرامى وأنا برىء  
بما تجرمون ... (١)

- ٢٥ -

والملاحظ هنا أن نوحا عليه السلام بدأ بعرض رسالته وبيان دعوته في اختصار شديد (إني لكم نذير مبين ، ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم ) .

فأنهال عليه المستكبرون من قومه ، وصبوا عليه نهما شتى ، وطعنوا في شخصيته وشخصيات من آمن معه .

فأنبرى لهم نوح عليه السلام مغنداً وموضحاً وشارحاً ومفصلاً .. فاتهمهم بالعمى والجهل لأن معه بينات الهدى ودلائل الحق ، ولأنه صاحب رسالة هي الرحمة يقدمها لهم دون مقابل مادي ، وقد آمن به من آمن إحتساباً لوجه الله ، وإعترافاً بالحقيقة ، واذعاناً للحق ، وليس لديه إغراءات يخدع بها أحدا .

وبين لهم نوح عليه السلام حقيقة النبوة ، فما هو إلا بشر مصطفى ، وإنسان نبى ، لا يسيطر على خوائن ملك الله ، ولا يعلم غيب المستقبل ، ولا يملك قدرات خارقة ، وإنما هو حيث يضعه الله عز وجل ، وحيث يوجهه ، وحيث يجرى على يديه ما يشاء .

وعند هذه النقطة لم يد القوم مفراً من إظهار الممانعة الشديدة ، والاستهواء بالوعيد ، فقطعوا الحوار واغلاقوا باب النقاش .. فعاجلهم نوح عليه السلام بتنبيه قوى ، هو أن الوعيد الذى يستحقونه لا يملك إيقافه أو تأجيله بل هو متروك لإرادة الله وحده ، ولا يستطيع نوح أن يبرهم على طريق الهداية وإنما يقدم النصيحة المختصرة .

وليقف الجميع أمام عدل الله يحكم لا معقب لحكمه .  
( قل إن اقتريته فعلى إجرامى وأنا برىء مما تجرمون ) .

• • •

## ٨ - بين البشر بعضهم بعضا .

ونسوق مثالا لذلك :

قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف .

وقصة أصحاب الجنة في سورة القلم .

وكلا القصتين تتعلقان بالمال وفنتته، والحرص النغي من الأغنياء بمنع المال من مصارفه الشرعية في البر والخير .

وطرفا الحوار في قصة صاحب الجنتين رجلان متقابلان ، أحدهما كافر غنى والآخر مؤمن فقير .

[ فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعر نفرا ] ١٢ .

وطرفا الحوار في قصة أصحاب الجنة ، الأخ الأوسط العاقل الأريب في مواجهة باقي إخوته . . لقد انشق عليهم ورفض منطقهم الفاسد في منع المساكين من حقوقهم الشرعية من مال الله الذي آتاهم .

[ فانطلقوا وهم يتخافتون ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ، وغدوا على حرد قادين ، فلما رأوها قالوا إنا لضالون ، بل نحن محرومون ، قال أوسطهم : ألم أقل لكم لولا تسبحون ] ١٣ .

وانتهى الحوار في قصة صاحب الجنتين إلى العناد والإصرار على الكفر .

(١) سورة الكهف الآية ٣٤

(٢) سورة القلم — الآية ٢٣: ٢٨

[ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ، قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ، وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا ]<sup>(١)</sup>.

وانتهى الحوار في قصة أصحاب الجنة إلى التوبة والإجابة إلى الله والندم على ما فرط منهم .

[ قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين ، فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون ، قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين ]<sup>(٢)</sup> .

وتشترك القصةان في ضياع المال وفقد الثروة وذهاب الغنى ، فأصبحت الجنتان خاويتين على عروشها ، وأصبحت الجنة كالصريم ، إلا أن الأمل مفقود تماما في عودة الجنتين إلى طبيعتها .

[ وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحدا ، ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا ]<sup>(٣)</sup> .

أما أصحاب الجنة فكانت لهم ثقة في رحمة الله وعفوه بعدما ندموا ندم قوية :

[ عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون ]<sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

(١) سورة الكهف — الآية ٣٥ : ٣٦

(٢) سورة القلم — الآية ٢٩ : ٣١

(٣) سورة الكهف — الآية ٤٢ : ٤٣

(٤) سورة القلم — الآية ٣٢

## ٩ - من نماذج الحوار في الآخرة :

ساق القرآن المجيد نماذج متعددة لألوان من الحوار ستجرى يوم القيامة وفي مواقف مختلفة تحسم قضايا جرى حولها الخلاف في الحياة الدنيا ، ووصل الجميع إلى عين اليقين ، وتراءت الحقيقة كاملة ، وانزاحت حجب كثيرة ، ومن هذه النماذج :

• ما يتعلق بألوهية المسيح عليه السلام ومزاعم النصارى حولها :  
[ وإذا قال الله :

يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟  
قال :

سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب .

ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ، أن أعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد .

إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم .  
قال الله :

هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ، لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار .  
خالدين فيها أبدا ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم (١) .

• • •

- ٢٩ -

• ما يتعلق بالمصير الإنسانى الأخير ، والجزاء الآخرى الأبدى ،  
وبشرى أهل الجنة وحسرة أهل الجحيم .

[ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار :

أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟

قالوا : نعم .

فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ]<sup>(١)</sup> .

وتتوالى عقب ذلك مجموعة حوارات بين أصحاب الأعراف وأهل  
الجنة ، وأصحاب الأعراف وأهل النار ، ثم أهل النار وأهل الجنة .

وتنتهى تلك المجموعة من الحوار فى سورة الأعراف بفصل الخطاب  
[ قالوا :

إن الله حرمها على الكافرين ، الذين اتخذوا دينهم لهما ولعبا ،  
وغرثهم الحياة الدنيا .

فاليوم نلصقكم كما نموا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يمحذون ، .  
ولقد جشأنهم بكتاب فصلنا على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون ]<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وبعد ..

فالحوار من ألزم واجبات العقل ، وآكد ضرورات الفكر ، مهما  
تعددت سبل الاجتهاد وبعدت شقة الخلاف وتباينت وجهات النظر .

---

(١) سورة الأعراف - الآية ٤٤

(٢) » » » ٥٠ : ٢٠ »

- ٣٠ -

فأولى بأصحاب الفروق الإسلامية أن يلتقوا حول كلمة سواء، وصولاً إلى الحق وإنصافاً للحقيقة .. وقد توفر لهم من أسباب الإتفاق وعوامل التقارب ما لم يتوفر لأي ملة أو مذهب .

ونحن أحرص الناس على نور الوحي، وصفاء العقل، وأدب الحوار ونحن أهل تلك البشرى :

[ فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب ] (١) .



## الفصل الثاني

### مخاطر الأهواء

— من البيان القرآني

— من تاريخ الفرق

• الإرهاب السياسي

• الإرهاب الفكري

١ — وضع الأحاديث

٢ — الأحكام الجائرة

٣ — المقارنات غير المنصفة



## مخاطر الأهواء

ميز الله تعالى الإنسان بالعقل وكرمه بالدين ، ومنحه وسائل المعرفة الصحيحة ليدرك الحق من الباطل ، والطيب من الخبيث ، والصدق من الكذب .. قال الله تعالى « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » (١) .

والخروج على موازين العقل الصحيح ، وإثارة الشهوات في الأنفس والأموال والأولاد ، والتمرد على القيم ، والتعالى على الخلق .. كل ذلك يندرج تحت اسم الهوى ..

ولكى نستبين مخاطر الأهواء نلقى السمع ونلتقط إشارات من جهتين :

— البيان القرآني — تاريخ الفرق الإسلامية

• • •

---

(١) سورة النحل - الآية ٧٨

## (١) من البيان القرآنى

• الحق والهوى لا يلتقيان ، فالحق واحد والهوى متعدد ..

والحق يجمع الأمة والهوى يفرقها ..

والحق يؤازر الخير والفضيلة ، والهوى حليف الشر والوذيلة ..

قال الله تعالى : ولولا تبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ،<sup>(١)</sup> ولهذا ارتبط الهوى بالشيطان الذى يزين القبيح ويصد الإنسان صدوداً عن الصراط المستقيم .. قال تعالى : قل أئذعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران ، له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا ، قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ،<sup>(٢)</sup> .

ومعنى قوله : استهوته الشياطين ، حملته على اتباع الهوى .

• وأصحاب الأهواء يفقدون كرامة العقل ، ويقوم فكرهم على التقليد الأعمى والانسياق بلا وعى ، وقد ضل اليهود والنصارى لحبهم الدنيا وإثباتهم متاع الحياة الرخيصة ، ثم توارثوا الضلال جيلاً بعد جيل دون نظر وتفكير .. قال تعالى : قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ،<sup>(٣)</sup> .

• إن الهوى يدفع إلى الظلم ، ويقوم على الآثرة ، ويتنافى مع قيم العدل

(١) سورة المؤمنون - الآية ٧١

(٢) • الأنعام - الآية ٧١

(٣) • المائدة - الآية ٧٧

قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن خنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » (١) .

وعندما جعل الله تعالى داود نبيا ملكا أمره بالعدل ونهاه عن الهوى ، فقال « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » (٢) .

ويأتى في قة الظلم - الكفر بالله وعبادة غيره سبحانه ، وتعظيم الأصنام واتخاذها أربابا من دون الله .. قال تعالى « إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى » (٣) .

ولقد دفع الهوى اليهود إلى قتل الأنبياء وتكذيبهم رغم معرفتهم الكاملة بصدق دعوى النبوة .. قال تعالى « ولقد آتينا موسى الكتاب ، وقفينا من بعده بالرسول ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » (٤) .

إن أصحاب الأهواء يرتكبون أسوأ الجرائم ، ويكذبون الحق

(١) سورة النساء - الآية ١٣٥

(٢) د ص - الآية ٢٦

(٣) د النجم - الآية ٢٣

(٤) د البقرة - الآية ٨٧

ويشوهون الحقيقة، ويغمزون الشرفاء ويستهنئون بالمصلحين .. قال تعالى « ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا، أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم » (١) .

• إن أصحاب الأهواء يواصلون مسيرة إضلال الناس وإفساد عقائدهم، ويصرون إصراراً على نشر مذاهبهم الهدامة .. قال تعالى « قل إني نهيئت أن أعبد الذين تدعون من دون الله، قل لا أتبع أهواءكم، قد ضللت إذا - وما أنا من المهتدين » (٢) .

ولا حظ التعبير القرآني « تدعون » لأنهم يدعون آلهتهم ويدعون لهم، أي لأنهم يخططون ويذيعون وينشرون، ومن هنا كان تحذير القرآن شديداً من مصاحبة أهل الأهواء، والوقوع في شراكهم وخداعهم .. قال تعالى « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، يريدون وجهه، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً » (٣) .

ودعا القرآن أهل الحق إلى التمسك بالهدى الإلهي والإصرار على الوحي المقدس والالتزام بالشرعية السمحاء دون التفتت إلى غوغائية أهل أهواء .. قال تعالى « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون، إنهم لن ينصروا عنك من الله شيئا، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض، والله ولي المتقين » (٤) .

(١) سورة محمد - الآية ١٦

(٢) د الأنعام - الآية ٥٦

(٣) د الكهف - الآية ٢٨

(٤) د الجاثية - الآية ١٨، ١٩

• قدم القرآن تشبيها لأهل الأهواء الذين يعلبون الحق ويرفضون الولاء له ، ويعرفون الفضيلة ويتمردون عليها . ويرون النور ثم لا يسيرون في ضوئه ، وبين أيديهم الهدى ويؤثرون الهوى عليه ..

لقد شبههم بالكلب اللاهث ، فهو لا ينفك عن اللهاث في الإعياء والراحة ، في الحر والبرد ..

كذلك فإن أصحاب الأهواء لا تنفعهم موعظة ولا تنفيدهم تذكرة ، ولا تصل إلى قلوبهم هداية ، ولا تتفتح عقولهم على الحق ..

قال تعالى « واطل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض ، واتبع هواه فثله كثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، وأنفسهم كانوا يظلمون » .

إن هذا مثل ضربه الله تعالى لمن عرف الحق فأنكره ، أو تعلم العلم فلم يعمل به ..

لقد أزل الله البيئات والهدى رفعة للإنسان وعزة له في الدنيا وكرامة له في الآخرة ، لكن أصحاب الأهواء آثروا متاع الحياة الرخيصة وركنوا إلى شهوات النفس الآئمة فأهلكوا الحرث والنسل ففسدوا الخسران المبين ..

## (ب) من تاريخ الفرق

قد يكون للشاة الفرق أسباب غير معرفة الحق ، لكن بعد استقرا الفرق وشيوعها وجد لها دعاة يدافعون عنها بحماس ، ويلتصرون لها بشدة ويقيمون لها الدعائم الفكرية ..

ومن الممكن أن ينضوى ذلك في محل الاجتهاد المقبول ، لولا أنه في فترات تاريخية ساد التعصب البنيض ، وتحول الدفاع إلى إرهاب وإكراه سياسي أو تعسف وانحراف فكري.. وهذه إطلالة سريعة على الموقفين.

### — الإرهاب السياسي .

عندما تتبنى الدولة مذهباً وتتعصب له ، تتحول أجهزتها إلى مقامع من حديد تبطش بها على كل من يخالف المذهب ويلتصر لفكر آخر ..

ونحن نرفض هذا الأسلوب مطلقاً سواء كان المذهب أقرب إلى الحق أو أبعد ، لأن الحياة دول ، فإذا ساد اليوم مذهب فغداً سيسود مذهب آخر ، وكما تدن تدان ، وتتحول قضايا الفكر إلى ثأر تتوارثه الحكومات ..

لقد هذب العلماء وسجنوا وقتلوا من مختلف الفرق الإسلامية، وكانوا سديين أو شيعة أو معتزلة أو متصوفة ، ولم تندثر آراؤهم ولم ينفذ الناس من حولهم ..

ويكفي أن نذكر هؤلاء :

• رفض أبو حنيفة النعمان بن ثابت منصب القضاء في عهد أبي جعفر المنصور فسجنه وجلده حتى توفي في سجن بغداد سنة ١٥٠ هـ .



• امتحن الإمام مالك بن أنس في عهد أبي جعفر المنصور فضرب بالسياط ومدت يده حتى انخلعت من كتفه لأنه كان يفق بتحريم المتعة أو يحدث بحديث « ليس على مستكره يمين » ونفى الخليفة العباسي أن يخرج الناس عن بيعته ويطلقوا خلافته لأنه أخذها كرها .

• ابتلى الإمام أحمد بن حنبل بلاء شديداً على مدى ستة عشر عاماً في عهد المأمون والمعتصم والواثق وصدروا من خلافة المتوكل حتى أصدر أمرا برفع المحنة عن الإمام سنة ٢٣٤ هـ .

وكان محور الخلاف : هل القرآن قديم أو مخلوق ؟

فأثارت السلطة السياسية إلى مذهب المعتزلة القائل بأن القرآن مخلوق حادث ، وأصر أحمد بن حنبل على أن القرآن كلام الله منزله غير مخلوق .

• توفي الإمام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ، ابن تيمية في سجن دمشق سنة ٧٢٨ هـ متهاً بالتجسيم والتشبيه والانتقاص من مقام النبي ﷺ ، وهو من هو دافعاً عن الدين والتزاماً بالشرع وإحياءاً للسنة .

• عاش كثير من العلماء دهرًا من حياتهم وراء القضبان بتهمة شتى سياسية أو ديلية ، مثل :

— ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٥ هـ .

— ابن رشد الأندلسي المتوفى سنة ٥٩٥ هـ .

— ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

— ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ .

• أحرقت كتب كثيرة في الميادين العامة بأمر السلطة السياسية ، وتمثل تلك الكتب مختلف الاتجاهات الفكرية .

- ٤٠ -

فأحرقت كتب التصوف والفلسفة في عهد المرابطين وأحرقت كتب  
الفقه المالكي في عهد الموحدين ..

وهكذا كان تدخل السلطة السياسية عنفا لأمبرور له ، وظلما  
فاحشا ، ولا نظنه كان لوجه الله والعلم أيا كانت تلك الساطة ، والأمر  
من قبل ومن بعد هو الحفاظ على السلطة والتشبث بأركانها التي لاتدوم  
لأحد ..

إن من الخير أن تترك السلطة السياسية للناس حرية الاجتهاد بضوابطه  
الشرعية وأصوله الفكرية ، ثم إن هناك أمورا جامعة للفرق الإسلامية  
كلها ينبغي الحفاظ عليها وتأكيدها ..

والذين يتعصبون لإمام من الأئمة يقعون في الغلو ، ويضعفون على  
فكره عصمة لاتليق إلا بالأنبياء ، ويتناسون أن كل إنسان يؤخذ منه  
ويرد عليه .. وأن آراء أى إمام من الأئمة هي صواب يحتمل الخطأ  
أو خطأ يحتمل الصواب ..

\* \* \*

### الإرهاب الفكرى :

من البلاء أن يتعصب العلماء ويرفضوا الحوار وتغلب عليهم الأثرة  
المذهبية ، ويجهدوا أنفسهم فى الانتصار للمذهب بأجمعه دون تمحيص ..

وقد تجلى الصراع الفكرى فى تاريخ الفرق الإسلامية حينما من الدهر  
واتخذ أشكالا تبعث على الحسرة منها :

## ٢ - وضع الأحاديث :

اعتمد دعاة الفرق المتعصبون على وضع الأحاديث والكذب على رسول الله ﷺ تأييداً لقضايهم ونصرة لأرائهم وتجريحاً لخصومهم ، وقد فتح ذلك على الأمة باب فتنة وفساد كبير .

لقد وضعوا كماً من الأحاديث يفوق التصور بالإضافة إلى عدد لا يحصى من الأحاديث الضعيفة .

ولقد قام أئمة أعلام شملوا واجتهدوا وبحشوا ونقبوا لاستخراج الحديث المقبول والتمييز بينه وبين الحديث المرفوض ، وكان ميزانهم دقيقاً وعملهم جليلاً واختيارهم شاقاً .

فالإمام مالك بن أنس سجل في الموطأ ثلاثمائة حديث فقط .

والإمام أحمد بن حنبل اختار في المسند أربعين ألف حديث من سبعمائة وخمسين ألفاً .

والإمام محمد بن إسماعيل البخاري خرج في الجامع الصحيح أربعة آلاف حديث بحذف المكرر .. اصطفاه من مائة ألف حديث صحيح يحفظها ويحفظ بجوارها مائتي ألف حديث غير صحيح .

والإمام مسلم بن الحجاج القشيري جمع في المسند الصحيح نحو أربعة آلاف حديث انتقاها من ثلاثمائة ألف حديث مسموع<sup>(١)</sup> .

---

(١) هذه الأعداد بالآلاف المؤلفه مبالغ فيها والمراد بها الكثرة فقط أو الأحاديث المكررة الأسانيد والموقوفات والآثار المروية عن الصحابة والتابعين .

وقد حكى الإمام السيوطى فى شرحه على تقريب النواوى عند الكلام على الحديث الموضوع — جملة أقوال تبين مدى الفساد العريض الذى نكبت به الأمة من جراء التعصب الفكرى البغيض، منها :

• أن قوما يلبسون إلى الزهد وضعوا أحاديث فى فضائل القرآن سورة سورة، وعلل أحدهم ذلك بقوله :

إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهاء أبي حنيفة ومغازى ابن إسحق فوضعت هذا الحديث حسبة .. ١١

• أن العقيلي روى بسنده إلى حماد بن زيد قال :

وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ أربعة عشر ألف حديث .

• أن ابن حبان روى بسنده إلى عبد الله بن يزيد المقرئ ، أن رجلا من أهل البدع رجع عن بدعته فجعل يقول :

انظروا هذا الحديث عن تأخذه ، فإننا كنا إذا رأينا رأيا جعلنا له حديثا .. ١١

• أن مقاتلا قال للبهدي ( الخليفة العباسي ) :

إن شئت وضعت لك أحاديث فى العباس .. ١١

أى يخترع له أحاديث تمدحه وتجعله أحق بالخلافة من على وذريته .

• أنه قيل لمأمون بن أحمد المروى : ألا ترى إلى الشافعى ومن تبعه بخراسان ؟ فقال :

حدثنا أحمد بن عبد البر ، حدثنا عبد الله بن معدان الأزدي ، عن أنس مرفوعا : يكون فى أمى رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمى من إبليس .

— ٤٣ —

- ويكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتي .
- أنه قيل لمحمد بن عكاشة الكرمانى : إن قوماً يرفعون أيديهم في الركوع وفي الرفع منه فقال :
- حدثنا المسيب بن واضح ، حدثنا ابن المبارك ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهري ، عن أنس مرفوعاً :
- من رفع يديه في الركوع فلا صلاة له .
- أن الحافظ أباً الخطاب بن وجيه وضع حديثاً في قصر صلاة المغرب يؤيد رأيه في ذلك<sup>(١)</sup> .

• • •

## ٢ — الأحكام الجائرة :

انطلقت الألسن — تحت وطأة التعصب البغيض — إلى التكفير للفرق المخالفة ، واختراع أحكام لا مستند لها من دين الله عز وجل ، ولنقرأ هذه الفتوى على سبيل المثال :

قال الإمام أبو منصور عبد القاهر البغدادى فى أصحاب البدع :

« فإن كان على بدعة الباطنية أو البيانية أو المغيرية أو الخطائية الذين يعتقدون إلهية الأئمة أو إلهية بعض الأئمة ، أو كان على مذاهب الحلول ، أو على بعض مذاهب أهل التناسخ ، أو على مذهب الميمونة من الخوارج

---

(١) تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى للحافظ السيوطى ص ١٠٠ — ١٠٤ الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية ، المنشأة بجمالية مصر المحمية سنة ١٣٠٧ هـ .

الذين أباحوا نكاح بنات البنات وبنات البنين ، أو على مذهب اليزيدية من الإباضية في قولها بأن شريعة الإسلام تلتسخ في آخر الزمان ، أو أباح ما نص القرآن على تحريمه ، أو حرم ما أباحه القرآن نصاً لا يحتمل التأويل . فليس هو من أمة الإسلام ، ولا كرامة له .

وإن كانت بدعته من جلس بدع المعتزلة أو الخوارج أو الرافضة الإمامية أو اليزيدية أو من بدع البخارية أو الجهمية أو الضرارية أو المجسمة فهو من الأمة في بعض الأحكام ، وهو جواز دفنه في مقابر المسلمين ، وفي أن لا يمنع حفظه من النجس والغنيمة إن غزا مع المسلمين ، وفي أن لا يمنع من الصلاة في المساجد ، وليس من الأمة في أحكام سواها وذلك أنه لا تجوز الصلاة عليه ولا خلفه ، ولا تحل ذبيحته ولا نكاحه لامرأة سليمة ، ولا يحل لسنى أن يتزوج المرأة منهم إذا كانت على اعتقادهم .

وقد قال على بن طالب رضى الله عنه للخوارج :

علينا ثلاث : لا نبذوكم بقتال . ولا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ، ولا نمنعكم من النجس ما دامت أيديكم على أيدينا ، والله أعلم ، (١) .

لقد كان الشيخ مصيباً في الشق الأول من الفتوى ؛ فإن ادعاء الألوهية لبعض البشر أو إنكار ما علم من الدين بالضرورة - هو خروج على الإسلام ورده عن الدين ولا خلاف في ذلك .

لكننا نرفض الفتوى في شقها الثاني ، فإما أن يحكم الشيخ بالردة على المعتزلة واليزيدية والجهمية ، ويلتقي هؤلاء مع السابقين ، وإما أن يكونوا مسلمين لهم ما لنا وعليهم ما علينا بلا تجزئة للحكم .. ١١

---

(١) الفرق بين الفرق - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ص ١٣ - مكتبته محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر .

- ٤٥ -

إن ما ذكره الشيخ في قوله : فهو من الأمة في بعض الأحكام ...  
وليس من الأمة في أحكام سواها ، لا دليل عليه ولا مستند له ولا حظ له  
من الصواب .

فما قيمة أن يدفن في مقابر المسلمين بلا صلاة عليه ١٩  
وما قيمة أن يدخل المسجد ليذكر اسم الله بلا جواز للصلاة  
خلفه متى كان أهلا للإمامة ١٩

وماذا بقي من الإسلام إذا كنا لا نزوج ولا نأكل  
ذبيحته ؟

إن هذا الحكم الجائر جعل المعتزلي والويدي أدنى منزلة من اليهودي  
والنصراني فقد أحل الله لنا منا كحمتهم وأكل ذبائحهم فقال :

« اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم  
وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا  
الكتاب من قبلكم إذا آتيتهم أجورهن محسنين غير مسافحين  
ولا متخذين أصدقاء » (١) .

وما نقله الشيخ عن الإمام علي بن أبي طالب لا دليل فيه على فتوى  
الشيخ ، ولا ندوى كيف ساقها الشيخ في أعقاب فتواه بجمرة الصلاة  
عليهم وخلفهم وحرمة ذبائحهم وحرمة منا كحمتهم ١٩

بل إن مقالة الإمام علي أقرب إلى العدل والتسامح والإنصاف ..  
هذا وقد قرأت في بعض كتب الفقه أنه لا يجوز لشافعي أن يقتدى  
بمخني مس ذكره لاعتقاده بطلان صلاته (٢) .

(١) سورة المائدة - الآية ٥

(٢) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للشيخ محمد الشريفي الخطيب .

١٥ ص ١٤٣ ط المطبعة الأزهرية المصرية ١٣٢٩ هـ .

بأنه عليكم من الذي جعل هذا شافعيًا وذاك حنفيًا ؟

أهناك عهد من الله بذلك ؟

وطالما كان للحكم دليله ومستنده الشرعي فلماذا نرده ونرفضه ؟  
وإذا كان علماء الأصول قد حكموا بتصويب جميع المجتهدين أو  
بتصويب واحد غير معين . . فما قيمة اعتقاد الشافعي بطلان صلاة  
الحنفي ؟

### ٣ - المقارنات غير المنصفة :

انبرى علماء يتصورون لمذاهبهم ، ويخترعون الأدلة لأحكامهم ،  
وقامت دراسات فقهية وعقدية تسعى لنصرة المذهب دائماً .

ورغم ما فيها من جهد علمي كبير إلا أن التعصب للمذهب غلب عليها  
وساد فيها مما يقدح في قيمتها العلمية . .

ونحن نرى أن الحق بأجمعه لا يمكن في مذهب خاص ، ولا يجرى  
على لسان إمام واحد ، ولا ينحصر في اتجاه بعينه . .

ورحم الله الإمام مالكا فقد رفض أن يجبر الناس على مذهبه أو  
يلزموا بكتابته . .

قال أبو نعيم في الحلية عن مالك :

شاورني هارون الرشيد في أن يعاق الموطن على الكعبة ويحمل الناس  
على ما فيه ، فقلت : لا تفعل ، فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في  
الفروع ، وتفرقوا في البلدان ، وكل مصيب ، فقال : وفقك الله  
يا أبا عبد الله . .

وروى ابن سعد في الطبقات عن مالك :



لما حج المنصور قال لى : هزمت على أن آمر بكتبتك هذه التى وضعتها  
فتنسخ ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة ، وأمرهم أن  
يعملوا بما فيها ولا يبعدوا إلى غيرها . .

فقلت : لا تفعل هذا فإن الناس قد سبقت إليهم الأقاويل ، وسمعوا  
الآحاديث ، ورووا الروايات ، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ، ودانوا به  
فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لا أنفسهم . .<sup>(١)</sup> .

ومن كتب المقارنات الفقهية :

• كتاب « التحقيق فى أحاديث الخلاف ، من تأليف العلامة أبى  
الفرج بن الجوزى ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ<sup>(٢)</sup> .

ساق أبواب الفقه ومسائله ثم أتى برأى المذهب الحنبلى وأتبعه بآراء  
باقى المذاهب ، وقدم الآحاديث التى استدلت بها هؤلاء وأولئك ، ورجح  
استدلال المذهب الحنبلى ورفض استدلال باقى المذاهب فى جميع المسائل .

• كتاب « المجموع شرح المذهب ، من تأليف العلامة أبى زكريا  
يحيى بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ<sup>(٣)</sup> .

(١) نقلا عن كتاب « أوجز المسالك إلى موطأ مالك - تأليف العلامة  
محمد زكريا الكاندهلوى - ص ٣٠ الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م  
مطبعة السعادة بالقاهرة .

(٢) حقه مسعد عبد الحميد السعدنى وعلق عليه محمد فارس - ط دار  
العلية - لبنان .

(٣) الناشر زكريا على يوسف ، مطبعة العاصمة ، شارع القا-كى  
بالقاهرة .

- ٤٨ -

عرض أصول مذهب الشافعي ومسائله بأدلتها ووجج طريقته  
وأجاب عن أدلة المخالفين من مذاهب الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار..  
وقال :

قد أشرت في هذه الفصول إلى طرف من حال الشافعي رضي الله عنه ،  
وبيان رجحان نفسه وطريقته ومذهبه .

• كتاب « شرح فتح القدير » من تأليف العلامة كمال الدين محمد بن  
عبد الواحد المعروف بابن الهمام المتوفى سنة ٦٨١ هـ (١) .

شرح المسائل الفقهية على مذهب أبي حنيفة ورد أدلة المخالفين ،  
وانتصر لرأى أبي حنيفة .

---

(١) طبع مع تكملة لقاضي زاده المتوفى سنة ٩٨٨ هـ مع بعض  
الشروح والخواشي بالمطبعة الميمنية على نفقة أصحابها مصطفى البابي الحلبي  
وأخويه بمصر .

## الباب الثاني

### ضوابط الحوار

الفصل الأول :

الاجتهاد بين العقيدة والفقه

الفصل الثاني :

أصول الإسلام



## الفصل الأول

### الاجتهاد بين العقيدة والمقه

— تعريف الاجتهاد

— مؤهلات المجتهد

— حكم الخطأ في الاجتهاد

[ أ ] رأى الإمام الغزالي

[ ب ] مذاهب المخالفين

[ ح ] رد الإمام الغزالي

[ د ] تعقيب وبيان

[ هـ ] رأى الإمام التلوفي



## الاجتهاد بين العقيدة والفقه

### تعريف الاجتهاد :

الاجتهاد لغة : اقتقال من الجهد ، أى شدة الجهد وكثرته ، وتكلف  
حزريد من المشاق في فعل من الأفعال .

فمن يحمل أثقالاً من الحجارة وزن عشرات الكيلو جرامات يجتهد في  
حملها أى يبذل جهداً كبيراً .

أما من يحمل حجراً صغيراً فلا يقال إنه اجتهد في حمله ..

• • •

والاجتهاد — الذى نعنيه — هو :

بذل الجهد العقلى ، والتفكير المتواصل لتحقيق العلم بالأمور الشرعية  
سواء كانت عقدية أو عملية .

والاجتهاد — عند علماء أصول الفقه — مخصوص بأحكام الشريعة  
العملية وما ليس فيه دليل شرعى قاطع . .

وعرفه الإمام أبو حامد الغزالي فقال : (١) .

بذل المجتهد وسعه في طلب العلم بأحكام الشريعة ، والاجتهاد التام أن  
يبدل الوسع في الطلب بحيث يحس من نفسه بالعجز عن مزيد الطلب ..

وعرفه الأمدى فقال : (٢)

(١) المستصنى في علوم الأصول للإمام أبى حامد الغزالي المتوفى

٥٥٠ هـ — تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافى ص ٣٤٢ ط دار الكتب

العلمية — لبنان .

٢ — شرح مختصر الروضة للإمام نجم الدين الطوفى المتوفى ٧١٦ هـ

تحقيق د . عبد الله بن عبد المحسن التركي ص ٣٨ ط مؤسسة الرسالة .

هو استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد عليه ..

### مؤهلات المجتهد :

: المجتهد يحتاج إلى مؤهلات تساعده في اكتساب الحكم والوصول إلى الحق ، وهذه المؤهلات - في الإطار الإسلامي - يتقدمها العلم بالكتاب العزيز بحكمه ومتشابهه ، وأسباب نزوله وتفسير آياته ، ووجود إعجازه ، وأنواع قراءاته ..

وبلى هذا معرفة السنة النبوية المطهرة دراية ورواية ، والاسترشاد بآثار السلف الصالح في فهم النصوص الشرعية ..

ويكون لدى المجتهد الحس اللغوي بحيث يدرك الخطاب العربي في حقيقته ومجازه ، ونحوه وصرفه ..

وينطلق ذلك كله من ملكة عقلية ، لها جودة استنباط ، وبصيرة إدراك ، وخبرة تاريخ وحياة .. ويحاط ذلك كله بسياج من التقوى والخلق الحميد ..

وهذه المؤهلات هي تفسير قوله تعالى : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله وما أنا من المشركين » (١) .

فالبصيرة لا تكون إلا بعلم وعمل ..

وترك هذا العلم والعمل هو ما أنكره الله على المخالفين والمجادلين المعاندين ، في قوله تعالى : « ومن الناس من يبادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله ، له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق » (٢) .

(١) سورة يوسف - الآية ١٠٨ .

(٢) سورة الحج - الآية ٨ ، ٩ .



— • • —

قال الإمام الرازي<sup>(١)</sup> :

« المراد بالعلم العلم الضروري ، وبالمهدى الاستدلال والنظر لأنه يهدي إلى المعرفة ، وبالكتاب المنير الوحي .

والمعنى أنه يجادل من غير مقدمة ضرورية ولا نظرية ولا سمعية ، وهو كقوله — ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم<sup>(٢)</sup> . وقوله .. « اتتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين »<sup>(٣)</sup> ، ٥١ .

وهذا الانحراف عن وسائل المعرفة الصحيحة ومناهج الاستدلال هو سبيل الشيطان المتمرد على سنن الله الكونية والشرعية ، قال الله تعالى « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ، كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير<sup>(٤)</sup> » .

• • •

حكم الخطأ في الاجتهاد :

فرق الفقهاء بين الاجتهاد في العقديات والأصول من جهة ، والاجتهاد في العمليات والفروع من جهة أخرى ..

فرفعوا الإثم أو الخطأ عن المجتهد في العمليات والفروع ، وقال الأمدى : « إذا كانت المسألة الفقهية ظنية ، فإن كان فيها نص ، وقصر المجتهد في طلبه فهو مخطئ<sup>(٥)</sup> آثم .

(١) التفسير الكبير - ٢٣ ص ١٢ ط دار الفكر .

(٢) سورة الحج — الآية ٧١

(٣) سورة الأحقاف — الآية ٤ .

(٤) سورة الحج — الآية ٣ ، ٤ .

وإن لم يكن فيها نص ، أو كان فيها نص ولم يقصر في طلبه ، فقد قال  
القاضي أبو بكر ، وأبو الهذيل ، والجبائي وابنه ، إن كل مجتهد فيها مصيب ،  
وإن حكم الله تعالى فيها ما أدى إليه ظن المجتهد . . وقال ابن فورك  
والأستاذ أبو اسحق والإسفرائيلي : إن المصيب فيها واحد وله أجر واحد .

ونقل عن الشافعي وأبي حنيفة وأحمد والأشعري قولان :

التخطة والتصويب .

والمختار إنما هو تصويب الواحد وأنه غير معين ، (١) .

وأثبت الفقهاء الإثم والخطأ للمجتهد في العقديات والأصول إذا  
جانب الحق ولم يصل إلى الصواب .

### (أ) رأى الإمام الغزالي :

قال الغزالي في المستصفي (٢) :

« النظريات تنقسم إلى ظنية وقطعية ..

فلا إثم في الظنيات ، إذ لا خطأ فيها . . .

والمخطىء في القطعيات آثم . .

والقطعيات ثلاثة أقسام : كلامية وأصولية وفقهية . .

أما الكلامية فنحن بها العقلليات المحضة ، والحق فيها واحد ، ومن أخطأ  
الحق فيها فهو آثم ، ويدخل فيه حدوث العالم ، وإثبات المحدث وصفاته

(١) شرح مختصر الووضة - ٣ ص ٦٠٣ .

(٢) المستصفي في علم الوصول - تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي

ص ٣٤٨ ط دار الكتب العلمية - لبنان .

الواجبة والجائزة والمستحيلة، وبعثة الرسل وتصديقهم بالمعجزات، وجواز الرؤية، وخلق الأعمال، وإرادة الكائنات، وجميع ما الكلام فيه مع المعتزلة والخوارج والروافض والمبتدعة ..

وحد المسائل الكلامية المحضة ما يصح للناظر درك حقيقته بنظر العقل قبل ورود الشرع ..

فهذه المسائل الحق فيها واحد، ومن أخطأ فهو آثم، فإن أخطأ فيما يرجع إلى الإيمان بالله ورسوله فهو كافر ..

وإن أخطأ فيما لا يمنعه من معرفته الله عز وجل ومعرفة رسوله، كما في مسألة الرؤية وخلق الأعمال وإرادة الكائنات وأمثاله فهو آثم من حيث عدل عن الحق وضل، ومخطئ من حيث أخطأ الحق المتيقن، ومبتدع من حيث قال قولاً مخالفاً للشهور بين السلف ولا يلزم الكفر ..

وأما الأصولية فنحن بها كونا الإجماع حجة، وكون القياس حجة، وكون خبر الواحد حجة ... فإن هذه المسائل أدلتها قطعية والمخالف فيها آثم مخطئ ..

وأما الفقهية فالقطعية منها وجوب الصلاة الخمس والزكاة والحج والصوم وتحريم الزنا والقتل والسرقة والشرب وكل ما علم قطعاً من دين الله فالحق فيها واحد وهو المعلوم، والمخالف فيها آثم ..

ثم ينظر فإن أنكر ما علم ضرورة من مقصود الشارع بإنكار تحريم الخمر والسرقة وجوب الصلاة والصوم فهو كافر، لأن هذا الإنكار لا يصدر إلا عن مكذب بالشرع .

وإن علم قطعاً بطريق النظر لا بالضرورة ككون الإجماع حجة، وكون القياس وخبر الواحد حجة وكذلك الفقهيات المعلومه بالإجماع فهي قطعية، فنكرها ليس بكافر لكنه آثم مخطئ .

### (ب) مذاهب المخالفين :

وكان الإمام الغزالي أميناً في عرض مذاهب المخالفين ، فساق ثلاثة مذاهب في حكم الاجتهاد في الأصول هي :

١ - ذهب الجاحظ إلى أن مخالف ملة الإسلام من اليهود والنصارى والدمرية إن كان معانداً على خلاف اعتقاده فهو آثم .

وإن نظر فمعجز عن درك الحق فهو معذور غير آثم .

وإن لم ينظر من حيث لم يعرف وجوب النظر فهو أيضاً معذور .

وإنما الآثم الملعوب هو المعاند فقط ، لأن الله تعالى لا يكاف نفساً إلا وسعها ، وهؤلاء قد عجزوا عن درك الحق ، ولزموا عقائدهم خوفاً من الله تعالى إذ استند<sup>(١)</sup> عليهم طريق المعرفة .

٢ - ذهب عبد الله بن الحسن العنبري إلى أن كل مجتهد مصيب في العقليات كما في الفروع .

٣ - ذهب بشر المريسى إلى أن الإثم غير محطوط عن المجتهدين في الفروع بل فيها حق معين ، وعليه دليل قاطع ، فمن أخطأ فهو آثم كما في العقليات لكن المخطئ قد يكفر كما في أصل الإلهية والنبوة ، وقد يفسق كما في مسألة الرؤية وخلق القرآن ونظائرها ، وقد يقتصر على مجرد التائب كما في الفقهيات .

---

(١) أى صار مسدوداً .

### (ج) رد الغزالي :

وقد رد الإمام الغزالي هذه المذاهب الثلاثة وانتصر للتفرقة بين حكم الأصول وحكم الفروع ، وقال ردا على الجاحظ :

« فإننا كما نعرف أن النبي ﷺ أمر بالصلاة والزكاة ضرورة ، فيعلم أيضا ضرورة أنه أمر اليهود والنصارى بالإيمان به واتباعه ، وذمهم على إصرارهم على عقائدهم ، ولذلك قاتل جميعهم .. ويعلم قطعاً أن المعاند العارف بما يقل ، وإنما إلا كثر المقلدة الذين اعتقدوا دين آبائهم تقليدا ولم يعرفوا معجزة الرسول عليه السلام وصدقه .

والآيات الدالة في القرآن على هذا لا تحصى ، كقوله تعالى :

« ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، » (١) .

« وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ، » (٢) .

« إن هم إلا يظنون ، » (٣) .

« ويحسبون أنهم على شيء ، » (٤) .

« في قلوبهم مرض ، » (٥) أى شك .

وعلى الجملة ذم الله تعالى والرسول عليه السلام المكذبين من الكفار بما لا ينحصر في الكتاب والسنة .

(١) سورة ص : الآية ٢٧

(٢) فصلت : الآية ٢٣

(٣) البقرة الآية ٧٨

(٤) المجادلة : الآية ١٨

(٥) البقرة : الآية ١٠

وأما قوله : كيف يكلفهم ما لا يطيقون ؟ قلنا : نعلم ضرورة أنه كلفهم ، أما أنهم يطيقون أو لا يطيقون فلننظر فيه ، بل نبه الله تعالى على أنه أقدرهم عليه بما رزقهم من العقل ونصب من الأدلة وبعث من الرسل المؤيدين بالمعجزات ، الذين نهوا العقول وحركوا دواعي النظر حتى لم يبق على الله لأحد حجة بعد الرسل .

#### ( د ) تعقيب وبيان :

ونحن لا نظن أن هذا الرد من الإمام الغزالي يقطع المسألة ويصل إلى يقين ، ونعقب بما يلي :

١ - إن الرسول ﷺ لم يقتل كل يهودى ونصرانى ولم يقاتلهم جميعا ، بل قاتل وقتل من قاتله وقتل أصحابه ، وكثيرا ما جادل الرسول اليهود والنصارى ، وسجل القرآن المجيد أنماطا متعددة من هذا الجدل ، ويكفى أن نقرأ قول الله تعالى :

« فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَصْلَتْ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْنِي » (١) .

« فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » (٢) .

« يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون » (٣) .

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم » (٤)

---

(١) سورة آل عمران : الآيات ٢٠ ، ٦١ ، ٦٥

(٢) سورة العنكبوت : الآية ٦٤

٢ - إن التعبير بالظن فى مثل قوله تعالى « ذلك ظن الذين كفروا » لا يعنى أن الكافرين جميعا فى شك من عقيدتهم ثم عذبهم الله عليها بل إن هذا التعبير القرآنى له دلالة اللغوية العميقة ، فعقيدة الكفر لا دليل عليها ولا برهان يساندها ، فهم فى الواقع يكادون يشكون .

وقد جاء الظن بمعنى العلم واليقين فى جانب المؤمنين ، كما فى قوله تعالى « الذين يظنون أنهم ملاقون ربهم وأنهم إليه راجعون » (١) .

فقد جاء هذا الوصف مدحا للخاشعين المستعِينين بالصبر والصلاة فى الآية السابقة لهذا الوصف « واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا لاهل الخاشعين » .

فالتعبير بالظن قد يعنى اليقين كفرا كان أو إيمانا .

٣ - إن ذم الكفر والكافرين مسألة لا جدال فيها ، فالكفر ظلمات بعضها فوق بعض ، والكافرون فى ضلال بعيد .

والمسألة المطروحة ليست تمييز الكفر أو مدح الكافرين ، وإنما هى عقيدة شخص اجتهد فيها وخالف الحق ، هل تستوى مع عقيدة شخص آخر قبل الكفر تقليدا أو ظل على كفره عنادا ؟

هذا هو بيت القصيد وهو محل البحث .

ثم إن الحكم بالكفر هنا مراد به حكم الله فى الآخرة ، والله يفعل ما يشاء ويحكم لا معقب لحكمه ، ولا يظلم ربك أحدا ، وهو سبحانه يعلم سرائر النفس وخفايا الصدور .. قال تعالى : إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لهنه أجرا عظيما ، (٢) .

(١) سورة البقرة : الآية ٤٦

(٢) النساء : الآية ٤٥

أما حكمتنا - نحن المسلمين - على شخص بالإيمان أو الكفر فهو مرتبط بالإقرار بمقائد الدين وأركانه، فمن أقر فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن رفض فهو الكافر يعامل بمقتضى ما ظهر منه .. والكافر حينئذ أحد رجلين : رجل ألقى إلينا السلم فله ذمة الله ورسوله والمؤمنين، ورجل حمل علينا السلاح فيجب مقاومته ورد العدوان .

٤ - وقد أحس الغزالي بأنه رده ليس برهاناً فأتبعه بقوله :

نعلم ضرورة أنه (الله تعالى) كفهم، أما أنهم يطبقون أو لا يطبقون، فلنتظر فيه :

بل نبه الله تعالى على أنه أقدرهم عليه بما رزقهم من العقل، ونصب من الأدلة، وبعث من الرسل المؤيدين بالمعجزات، الذين نهوا العقول، وخرخوا دواعي النظر حتى لم يبق على الله لأحد حجة بعد الرسل ..

وهذا القول هو مفتاح القضية وجواب المسألة، ولا مفر منه، فالإنسان لديه العقل، وأمامه آيات الأنفس والآفاق، وبين يديه معجزات الأنبياء وبيّنات الهدى، فمن أعرض وأبى، وآثر التقليد، وصد عن سبيل الله فهو الكافر المعاند.

وحيث يفقد العقل، أو حيث لا تصل الدعوة على وجهها الصحيح فلا تكليف شرعاً.. قال تعالى «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» (١)

٥ - إن استقرأ آيات القرآن المجيد، التي تتناق بالكا فون وجزائهم - تؤكد أنهم فريقان لا ثالث لهما .



— فريق الكبراء الذين آثروا متاع الحياة الدنيا ، وسلطان الملك ، وشهوة الرئاسة ، ورفضوا الإذعان للحق حسدا وبغيا .

وهؤلاء هم الملوك والسادة والاحبار والرهبان .

— فريق الضعفاء الذين انساقوا وراء كبرائهم ، وأطفأوا نور عقولهم ، واستمروا التقليد الأعمى ، ولم ينظروا في دلائل الحق .

وهؤلاء هم العبيد والأتباع .

فكلا الفريقين جمعهم الله في الجحيم وصب عليهم العذاب صبا .

ولنقرأ على سبيل المثال :

• قوله تعالى « إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ، ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار ، (١) » .

لقد اجتمع الفريقان في الجحيم وتقطعت الروابط التي كانت بينهم في الدنيا وزالت عنهم كل أسباب النجاة والنصرة ، ولم يعد أحد يملك لأحد شيئا ، وحلت بالجميع حسرة لا تزول . . . هذا بـكبريائه وذاك بتقليده .

• وقوله تعالى « ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم ، يرجع بعضهم إلى بعضهم القول . »

يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا: لولا أتمم لكنا مؤمنين ،

قال الذين استكبروا للذين استضعفوا : أنحن صددناكم عن الهدى بعد  
إذ جاءكم ١٩ بل كنتم مجرمين .

وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار ،  
إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا .

وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين  
كفروا ، هل يحزون إلا ما كانوا يعملون ، (١) .

إن هذا الحوار في الجحيم جاء بعد فوات الأوان وفقد الأمل ،  
ولذا أخفى الجميع ندمهم وامتلاك قلوبهم حسرة وكدا .

لقد تلاوموا فيما بينهم ، وقال الضعفاء إن المستكبرين خدعهم عن  
الحق بوسائل الإغراء المتعددة التي لوسحوا بها ليلاً ونهاراً .

ورد الكبراء بأن الضعفاء فرطوا في عقولهم وأجرموا في حق  
أنفسهم ، وانساقوا وراء الإغراء ولم يفكروا التفكير السوي .

• وقوله تعالى « وإذ يتحاجون في النار ، فيقول الضعفاء للذين  
استكبروا إنا كنا لكم تبعاً ، فهل أتم مغنون عنا نصيباً من النار ١٩ »

قال الذين استكبروا : إنا كل فيها ، إن الله قد حكم بين العباد ، (٢) .  
وهذه هي النهاية المحتومة .

وهذا هو العقاب العدل .

فلا أحد يتحمل وذر الآخر ، لأن الدلائل قد وضعت أمام الجميع  
بالسوية ، وليست هناك صوارف فطرية بل كل ما في الإنسان وسحوه  
يدعوه إلى العزيم الغفار .

---

(١) سورة سبأ الآية ٣١ : ٣٣

(٢) سورة غافر الآية ٤٧ ، ٤٨

فالسما وما بناها ، والأرض وما طحاها ، والنفس وما سواها ،  
والكواكب وما أجزاها . والنسائم وما أخرجها ، والأنعام وما خلقتها ،  
والبحار وما مלאها ، وكل شيء في الوجود آية على أن الله هو الحق . .

وقام الأنبياء في كل زمان ومكان بتقديم الحجة وتفصيل البرهان ،  
لكن المستكبرين أصروا إصرارا على رفض الحق ، وتابعهم المستضعفون  
تقليدا ، ولكي نذكر مدى العناد والاستكبار نقراً قوله تعالى ، وإذا قالوا  
الهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء  
أو آتتنا بعذاب أليم ،<sup>(١)</sup> .

فهذا منتهى الاستخفاف بالعقل ، والامتهان للحق والاستهزاء بالبرهان ،  
إن مقتضى أن يكون هذا هو الحق أن يؤمنوا به ويخضعوا له ، لا أن  
يطلبوا عذابا يستأصلهم ، وسخطا يحيق بهم .

لقد أثبت القرآن أن عبادة الأصنام لم تكن اختيارا عقليا ، ولا ناشئة  
من اجتهاد فكري ، وإنما ساق إليها التقاليد الأصمى ، ودفع إليها التعصب  
البغيض ، قال تعالى : وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع  
ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ،<sup>(٢)</sup> .

ولهذا سجل أهل الجحيم على أنفسهم وبأنفسهم أوصاف الغفلة  
والغباء ، وقالوا :

لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ١١

فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير ،<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

(١) سورة الأنفال - الآية ٣٢

(٢) سورة البقرة - الآية ١٧٠

(٣) سورة المملك - الآية ١٠ : ١١

### (٥) رأى الإمام الطوفى :

جاء الإمام نجم الدين الطوفى بعد الإمام أبى حامد الغزالى بقرنين من الزمان<sup>(١)</sup> وألف كتاب «شرح مختصر الوضوء» فاقبّس عبارة الغزالى فى عرض المذاهب وردّها ثم توسع فى البيان ، ففاق ما يلزم على مذهب الجاحظ فقال :

« قوله « ويلزمه ، هذا إلزام ، ألزم الناس الجاحظ به على مقالته ، وهو أن يلزمه « رفع الإثم » والوعيد « عن ، كل كافر من « منكبرى الصانع والبعث والنبوات ، واليهود والنصارى ، وعبداء الأوثان الذين قالوا « ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى »<sup>(٢)</sup> لأن اجتهادهم هو الذى « أدام إلى ذلك ، .

ثم اعتذر الإمام الطوفى للجاحظ عن هذا الإلزام فقال :  
قوله « وله منع أنهم استفرغوا الوسع فى طلب الحق ، هذا الاعتذار للجاحظ عن هذا الإلزام .

وتقريره : أن للجاحظ أن يمنع أن هؤلاء الكفار « استفرغوا الوسع فى طلب الحق ، أى لا نسلم أنهم بذلوا المجهود المعتبر كمثلهم فى مثل مطلوبهم فكانوا مفرطين مقصرين ، فكان « إثمهم على ترك الجِد ، والاجتهاد الواجب عليهم ، لا على مجرد الخطأ ، بل منهم من عاند مع اتضاح الحق له كما أخبر الله عز وجل عن أهل الكتاب بقوله تعالى « وإن الذين أوتوا

---

(١) توفى الإمام الطوفى عام ٧١٦ هـ ، وتوفى الإمام الغزالى عام

الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم،<sup>(١)</sup> وقوله عز وجل «الذين آمنوا  
الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم  
يعلمون»<sup>(٢)</sup>.

فالكفار — إذن — طائفتان : معاند ومقصر في الاجتهاد ، فعوقبوا  
لعنادهم وتقصيرهم ، ونحن إنما نعذر من اجتهد غاية وسعه فلم يدرك ، وخلا  
عن العناد ، فظهر الفرق .

وقد علق الإمام الطوفي تعليقا قويا ، وبين رأيه يانا دقيقا فقال :  
ومنذ خطر لي هذا الاعتذار عن الجاحظ كان يغلب على ظني قوته ..

والى الآن والجمهور مصرون على الخلاف ، ولا يتمشى لهم حال  
إلا على القول بتكليف المحال لغيره ..

وتساعدهم ظواهر النصوص نحو قوله عز وجل «ذلك ظن الذين  
كفروا» فويل للذين كفروا من النار،<sup>(٣)</sup> فتدبرهم بالنار على كفرهم  
ولم يعذرهم بالخطأ ..

وهي الآية اعتراضات لا تخفى .. ١١

وبالجملة ، الجمهور على خلاف الجاحظ ..

والعقل مائل إلى مذهبه ..

وقد أشار الإمام الطوفي إلى نقطة مهمة فقال :

وقوله «أى الجاحظ» — على كل حال — مخالف للإجماع ..

(١) سورة البقرة الآية ١٤٤

(٢) « د د د » ١٤٦

(٣) سورة ص الآية ٢٧

ثم أجاب عن ذلك فقال :

إلا أن يمنع كونه « أى الإجماع ، حجة ، كما هو مذهب النظام .  
أو يمنع كونه قاطعاً مطلقاً ، أو فى مثل هذه المسألة من القطعيات  
فلا يلزمه حكم إجماعهم .

أو يقول : إن الإجماع لا ينعقد بدون الواحد من المجتهدين على  
المشهور ، وهو صاحبه العنبرى إثنان من مشاهيرهم فلا ينعقد الإجماع  
بدونها .. » (١) .

وهذا منتهى الإنصاف من الإمام الطوفى وهو الحنبلى الأصولى  
البارع ..

---

(١) شرح مختصر الروضة — تحقيق د . عبد الله بن عبد المحسن  
التركى ج ٢ ص ٦١٠ : ٦١٢ ط مؤسسة الرسالة ١٤١٠ هـ .

## الفصل الثاني

### أصول الإسلام

- توحيد الله عز وجل
- النبوة والأنبياء
- الكتب المنزلة
- الملائكة
- اليوم الآخر
- ما علم من الدين بالضرورة
- ضابط الأصول والفروع





## أصول الإسلام

لخص الشيخ تاج الدين السبكي مسألة الاجتهاد في العقيدة والأصول فقال : والمصيب في العقليات واحد ، ونافى الإسلام مخطيء ، آثم ، كافر .

وقال الجاحظ والعنبري : لا يآثم المجتهد ، قيل مطلقا ، وقيل إن كان مسلما ، وقيل زاد العنبري : كل مصيب ، (١) .

وقد فصلنا ذلك فيما سبق ، وأيا ما كان فإن السؤال الوارد حقا هو : ما الأصول التي يتعين — على رأى الجمهور — إصابتها واليقين بها والوصول إليها ؟ .

إن علم العقيدة الآن والكتب المدونة فيه تحشد قضايا كثيرة ، وتفريعات شتى ، ومسائل تملأ مجلدات .. فهل هذه كلها أصول يتحتم الوصول إلى حق واحد فيها ، وتعد مجاوزته كفرا ؟

إن الأصول الإسلامية التي آمن عليها الناس في عهد النبوة الأولى ، حددتها القرآن المجيد في قوله تعالى « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا ، وإليك المصير » (٢) .

وبينها الرسول ﷺ في حديث جبريل المشهور ، عندما سأله : ما الإسلام ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ،

(١) متن جمع الجوامع لتاج الدين عبد الوهاب بن أبي الحسن السبكي ، المتوفى عام ٧٧١ هـ ضمن كتاب « مجموع مهات المتون » ، ص ١٢٤ ، توزيع مكتبة دار الباز بمكة المكرمة ط دار الكتب العلمية ب لبنان

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٨٥

وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، فسأله جبريل : ما الإيمان ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره فسأله جبريل : ما الإحسان ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

فأصول الإسلام وقواعد الإيمان التي هي فيصل التفرقة بين المسلم وغير المسلم ، يمكن إيجازها على النحو التالي :

### أولاً : توحيد الله عز وجل :

فالجانب الإلهي في الإسلام تحدده سورة قصيرة في القرآن ، تسمى سورة الإخلاص ، هي قوله تعالى :

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، وجاء في أسباب النزول أن المشركين قالوا لرسول الله : أنسب لنا ربك ، فأنزل الله تعالى هذه السورة .

والله تعالى أحد أي كامل في ذاته وصفاته وأفعاله ، كلاً مطلقاً .

والله تعالى صمد أي مقصود في الخوائج ، مستغنى عن خلقه ، فهو الغنى الحميد .

والله تعالى لم يلد ولم يولد ، أي أزل أبدى ، متفرد في جلاله وكأله ونجمه .

والله تعالى لم يكن له كفواً أحد ، فلا يصل إلى علياه محده مخلوق ، وأنكل عبادة وعبئده ، خاضع لقبضه وسلطانه .

هذا هو أصل الإسلام الأول .

لكن علماء العقيدة تجادلوا في قضايا عدة ، وأقبحوا عقولهم في مجالات

لا يحيطون بها علما ، فدارت بحوث حول حقيقة الصفات الإلهية هل هي عين الذات أو غيرها ؟

ووقعت خلافات شديدة حول الصفات الخيرية كيف يفهمها المسلم ؟ وتنازع العلماء حول رؤية المؤمنين لهم جل جلاله في الدنيا والآخرة ، وحول كلام الله تعالى هل هو كلام نفسى أو حرف وصوت ؟

وانقسم العلماء حول مفهوم الإيمان : هل هو التصديق فقط أو التصديق والعمل ؟ وهل يزيد وينقص أولا ؟

ولسنا نرى أن الخلاف أو الاجتهاد حول هذه القضايا يمثل أصلا من أصول الدين ، يترتب عليه إيمان أو كفر .

### ثانيا : النبوة والأنبياء :

أمتن الله على عباده فبعث إليهم رسلا مبشرين ومنذرين ، بدأوا بأدم عليه السلام وختموا بمحمد ﷺ ، وقص القرآن علينا بعضهم وسكت عن الباقين

وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث الله محمدا ﷺ إلى الإنس والجن عامة .

وأيد الله تعالى الأنبياء بالمعجزات الدالة على صدقهم .

هذا هو الأصل الثانى من أصول الإسلام .

لكن علماء العقيدة ألحقوا بهذا الأصل بحوثا متعددة حول :

— الفرق بين النبي والرسول .

— التفاضل بين الأنبياء والملائكة .

— عصمة الأنبياء قبل النبوة أو بعدها

— اجتهاد الرسول .

— الشفاعة والتوسل .

ولسنا نرى أن الخلاف أو الاجتهاد حول هذه المسائل يمس أصلا من أصول الدين .

### الثالث : الكتب المنزلة :

أنزل الله تعالى كتباً ضمنها منهجه لعباده كي تصلح حياتهم في الدنيا ويسعدوا في الآخرة ، وهذه الكتب هي صحف إبراهيم ، وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى وقرآن محمد صلى الله عليهم جميعا وسلم .

وجعل الله القرآن مهيئاً على ما سبقه من كتب بعد ما لحقها التحريف والتبديل ، والقرآن معجزة ، بلسان عربي مبين ، منقول تواتراً جيلاً بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

هذا هو الأصل الثالث .

لكن علماء العقيدة يجادلوا حول :

— القرآن مخلوق أو غير مخلوق .

— وجه الإعجاز القرآني .

— النسخ والمنسوخ .

ولسنا نرى أن الجدل في هذه الموضوعات يمس أصلاً من الأصول .

### رابعاً : الملائكة :

خلق مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، تعرف أسماء بعضهم كجبريل وميكال ، وتعرف وظائف بعضهم كخزنة الجنة ، وخزنة النار ، وحملة العرش ، والكرام الكاتبين ، وملك الموت .. إلخ .

هذا أصل من أصول الإسلام .

لكننا نجد في كتب العقيدة بحوثاً مطولة حوله :

— المفاضلة بين الملائكة والبشر .

— هاروت وماروت .

— منكر ونكير .

— موقف الملائكة يوم بدر .

وهذه المسائل لا ترقى إلى مستوى الأصل في الدين ، ولا يترتب على الاجتهاد فيها تكفير .

#### خامساً : اليوم الآخر :

الإيمان باليوم الآخر والجزاء الآخروي أصل أصيل من أصول الدين ، جاهد عليه جميع الأنبياء ، فالبعث والحشر والجزاء والجنة والنار في صلب العقيدة الإسلامية .

لكن العلماء ناقشوا أموراً أخرى واختلفوا حولها مثل :

— البعث عن عدم أو تفريق .

— الإعادة للجواهر فقط أو لها والأعراض معا .

— الجنة والنار مخلوقتان الآن أو سيخلقان يوم القيامة .

— آدم سكن الجنة أو بستاناً أرضياً .

— الوزن للأعمال أو لجوائها أو للعاملين .

— الميزان حقيقى أو كناية عن العدل المطلق .

— الصراط جسر ممدود على ظهر جهنم أو الطريق إلى الجنة والنار .

ومسائل كثيرة يجوز حولها الخلاف والاجتهاد ولا تمثل أصلاً من

أصول الإيمان .

### سادساً : ما علم من الدين بالضرورة :

هنالك أمور في الدين ظهرت أدلتها وتواتر النقل بها وشاعت بين الخاصة والعامة ولا أحد يجمل حكمها، كوجوب الصلاة والصيام والزكاة والحج، وكحرمة الزنا والربا والسرقه والقتل، وأصبح العلم بها أشبه بالبدهيّات، فهي تعد أصلاً من أصول الإيمان يكفر منكرها.

لكن العلماء تعددت مذاهبهم حول تفصيلات كثيرة في هذا الأصل ونشأت اجتهادات عرفت بالمذاهب الفقهية، وإجماع العلماء على أن الخلافات الفقهية هي في الفروع ولا تتصل بالمعقيدة.

وبعد - فهذه المسائل التي أخرجناها عن دائرة الأصول - لسنا ننكرها فالصواب فيها واضح، واليقين بها ميسور، ومع ذلك فنحن ندع للجهتهدين حق الاجتهاد ونفتح لهم باب الحوار، ونرفض ما كان رأياً أو عن، أو اتجاهاً مبنيًا على هوى، أو تعسفا وتكلفاً في فهم الدليل.

## ضابط الأصول والفروع

فصل التفرقة بين الأصول والفروع في مجال علم العقيدة - مبنى على قواحد، وتحكمه ضوابط هي :

١ - ما كان قطعى الثبوت، قطعى الدلالة - فهو أصل من أصول الإسلام، بأن يكون متواترا متواترا حقيقيا، أجمع المسلمون على دلالاته اللفظية، فآله واحد، ومحمد رسول الله، والقرآن حق، والنبيون حق، والساعة حق، والصلاة واجبة، والربا حرام.. الخ - هذه أصول ثبتت بالقرآن المجيد وهو قطعى الثبوت، وأجمع العلماء على دلالاتها اللفظية فكانت أصلا.

٢ - ما فقد القطع في ثبوته أو دلالاته فليس أصلا يترتب عليه إيمان أو كفر، وذلك بأن يكون :

( أ ) قطعى الثبوت، ظنى الدلالة .

( ب ) ظنى الثبوت، قطعى الدلالة .

( ج ) ظنى الثبوت، ظنى الدلالة .

فطالما دخل الظن في أحد طرفي الثبوت أو الدلالة لم يعد أصلا من أصول الإيمان ..

فالصفات الخبرية في مثل قوله تعالى "يد الله فوق أيديهم"، جاءت في نص قرآني لم ينكره أحد من المسلمين، لكن دلالة اللفظ محل اجتهاد لدى العلماء، فلم يكن رأى أحدهم أصلا من الأصول ..

وأحاديث الآحاد التي تحمل أخبارا عن عذاب القبر ونعيمه، والموض، وبعض مواقف القيامة، ونزول عيسى في آخر الزمان .. الخ ليست أصلا من أصول الدين لأنها ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة ..

والذين يتعصبون ويعملون أحاديث الأحاد حجة في العقائد يتناسون أنه لاعصمة بعد الأنبياء ، وأن صدق الواحد والاثنين ظن محتمل ، وهو إن أخذ به في العمليات فالتوقف بشأنه في العقائد أحوط للعين ، لأن أمور الحياة وقضايا الناس يكفي فيها الظن الغالب ، أما أمور العقائد فلا بد فيها من الحق الواضح ، وقد وقع النصارى في الكفر بسبب الظن وقبوله خبر الأحاد ، قال الله تعالى : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلته أنقاها إلى مريم ، وروح منه ، فآمنوا بالله ورسوله ، ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم ، إنما الله إله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد ، له ما في السموات وما في الأرض ، وكفى بالله وكيلاً »<sup>(١)</sup> ،

وما يستدل به البعض<sup>(٢)</sup> من أن الصحابة رضى الله عنهم قبلوا أخبار الأحاد ، كخبر ابن عمر رضى الله عنهما « أن الرسول ﷺ نهى عن بيع الولاء وهبته ، وخبر أبي هريرة « لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها » ، وخبر عائشة : يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، وخبر الذي أتى مسجد قباء وأخبر أن القبلة تحولت إلى الكعبة فاستداروا إليها .  
فهذه كلها أخبار في الأحكام والمعاملات ولا يست في العقائد ..

وما يقال أيضاً من أن الرسول ﷺ أرسل رسلاً آحاداً ، وأرسل كتبه إلى الملوك والرؤساء مع الأحاد ، لا ينهض دليلاً على أن خبر الأحاد حجة قاطعة في العقائد ..

لأن المبعوثين الشخصيين للرسول ﷺ ورسائله إلى ملوك العالم

(١) سورة النساء - الآية ١٧١

(٢) كشارح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٠ ط . المكتب الإسلامي

سنة ١٣٩٩ هـ



احتفت بها قرائن ، وشهدت لها ظواهر ، وشاع الخبر عن بعثة النبي العربي  
الهاشمي في أطراف الجزيرة العربية . .

ولم يكن الخبر على لسان المبعوثين حجة في نفسه بل كان باعثا على  
البحث عن الحجة والتعرف على الدليل ، فالعاقل مطالب بالبحث عن عقيدته  
كما يبحث عن طعامه وشرابه ، ولهذا حاول هرقل عظيم الروم بعدما تلقى  
الرسالة النبوية أن يستوثق ، فجمع تجار مكة الذين قدموا الشام ، وأخذ  
يسألهم ويناقشهم ويستبين شأن هذا النبي الجديد ..

وقد اعترف ابن العز شارح العقيدة الطحاوية بأن خبر الواحد  
يفيد نوع ظن وما يستقر في القلب من مجموع أمور قد لا يستقل بعضها  
به فقال :

وما ينبغي أن يعرف: أن ما يحصل في القلب بمجموع أمور قد لا يستقل  
بعضها به ، بل ما يحصل للإنسان من شيع وري وشكر وفرح وغم —  
فأمور مجتمعة لا يحصل ببعضها ، لكن ببعضها قد يحصل بعض الأمر ..

وكذلك العلم بخبر من الأخبار ، فإن خبر الواحد يحصل للقلب نوع  
ظن ، ثم الآخر يقويه ، إلى أن ينتهي إلى العلم ، حتى يتزايد ويقوى ،  
وكذلك الأدلة على الصدق والكذب ونحو ذلك ،<sup>(١)</sup> .

وإذا كان التشريع الإسلامي يرفض أن يقيم حدوده ويحكم بين

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٤ ، ويبدو أن الشيخ نسي مقالته  
هذه عندما دافع بشدة عن خبر الأحاد بعد أكثر من مائتي صفحة من  
شرحه وانهم الفرق الأخرى بأنهم قد حوا في دلالة القرآن على الصفات ،  
وأفسدوا على القلوب معرفة الرب من جهة الرسول ، وأحالوا الناس إلى  
قضايا وهمية سموها قواطع عقلية ص ٢٩٨

الناس في معاملاتهم بناء على شهادة الواحد ، وجعل نصاب الشهادة رجلين أو رجلا وامرأتين ، وقد تصل الشهادة إلى أربعة كما في حد الزنا .. فكيف تثبت في معاملات الناس ونحتاج فيها ثم ندع أمر العقائد بلا تمحيص ولا تدقيق .. ١٩

إننا لانقطع برفض خبر الأحاد ، وإنما نقول إنه يفيد ظنا ولا يفيد يقينا كاملا ، والأحوط في الدين أن نميل إلى هذا الظن ونأخذ به ما يعارض أصلا منقولا أو معقولا .

وأنه لا يترتب على قبول هذا الظن تكفير للطرف الآخر في إطار منهج البحث وقواعد الاستدلال ..

وقد تعلمنا في مصطلح الحديث أنه إذا قيل : هذا حديث صحيح ، فعناه ما اتصل بإسناده بالعدول الضابطين من غير شذوذ ولا علة ، وقبلناه عملا بظاهر الإسناد ، لا أنه مقطوع بصدوره عن النبي ﷺ لجواز الخطأ والسيان على الثقة (١) ..

وقد حكى الإمام السرخسي أقوال العلماء في قبول خبر الواحد والعمل به فقال : « قال فقهاء الأمصار — ورحمهم الله — :

خبر الواحد العدل حجة للعمل به في أمر الدين ، ولا يثبت به علم اليقين ، وقال بعض من لا يعتد بقوله :

خبر الواحد لا يكون حجة في الدين أصلا .

وقال بعض أهل الحديث :

---

(١) تدريب الراوى في شرح تقريب النواوى للحافظ السيوطي

يثبت بخبر الواحد علم اليقين ، منهم من اعتبر فيه عدد الشهادة ليكون حجة ، ومنهم من اعتبر أقصى عدد الشهادة وهو الأربعة ،<sup>(١)</sup> .  
ومن المعلوم في قواعد التفكير أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال ..

وبعد - فتي استطعنا أن نفرق بين الأصول والفروع تفريقاً منصفاً -  
أدركنا أن الفرق الإسلامية تلتقي على ثوابت العقيدة وأصول الدين ، ولم يحدث خلاف أو اجتهاد حولها ، اللهم إلا الفرق الغالية من الشيعة والخوارج ، وهي فرق خارجة عن الإسلام بشهادة المنصفين من الشيعة أنفسهم والخوارج ذاتهم ..

وحين يتضح الفرق بين الأصول والفروع في العقيدة تضيق شقة الخلاف بين المسلمين ، ويصبح الأمر ميسوراً لجمع الكلمة ووحدة الصف ..  
إن العالم حولنا يسعى إلى التقارب والتلاقى على أوهى من بيت العنكبوت ، فالوحدة الأوربية هدف يتحقق للأوروبيين رغم خلافاتهم التلويحية والعرقية والمذهبية واللغوية ..

وتقام المؤتمرات للحوار بين الأديان ..

فما بالناس نحن المسلمين ، نرفض الحوار ، ونرضى بالفرقة ، ونتخذ ديننا شيعاً ١٩

---

(١) أصول السرخسي - المتوفى عام ٤٩٠ هـ - تحقيق أبو الوفا الأصفهاني ح ١ ص ٣٢١ ط: دار الكتب العلمية لبنان .  
(٦ - الحوار)

إن المسلمين يتحلّقون حول الكعبة المشرفة ، ويحملون القرآن المجيد  
 في قلوبهم وعلى رءوسهم وبأيّمانهم ، ويصدّون بالأذان مدوياً خمس مرات  
 في اليوم والليّلة ، يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ،  
 وينطقون ذلكم الأذان وتلكم الشهادة بلغة عربية فصحيّة ، يتعبّدون  
 الله بها في كتابه المعجز الخالده المحفوظ بعناية الله إلى يوم القيامة ..

فنحن ، المسلمين ، أهل التوحيد وأحقّ بالوحدة .

## الباب الثالث

### قضايا الحوار

- التوحيد
- القضاء والقدر
- الإمامة
- الوعد والوعيد
- فقه العبادات والمعاملات
- الفكر الوافد
- التجديد الديني



### تمهيد :

أسباب نشأة الفرق بين المسلمين لا تكاد تختلف عن أسباب نشأتها في أي دين أو ملة أو مجلس ..

فنحن نرى أن الأسباب واحدة ، لكن جزئياتها وتفصيل أحداثها هي التي تتخذ شكل المكان أو الزمان أو العقيدة ..

ففي كل الأحوال توجد أسباب داخلية وأسباب خارجية ..

وفي جميع الملل ينضوى أفراد لهم خيال الشعراء أو حكمة الفلاسفة أو سلوك الأولياء ..

وفي كافة الأديان هناك من ينحى إلى التأويل والإكبار للعقل الإنساني، وهناك من يلتزم النص ويقف عند الظواهر ..

وفي سائر الأزمان وجد المنافقون والخائفون وأصحاب الهوى ..

وتربص بكل أمة أعداء من الخارج يسعون لاستئصال شأقتها، والقضاء على مقوماتها، والعبث بتراثها وقيمها ..

ومن هنا فلسنا نقف عند الأسباب في حد ذاتها ، وإنما نبحث عن القضايا التي تخص الأمة الإسلامية ، والتي دار حولها الاقتراق ..

وهذه القضايا هي :

- التوحيد والصفات الإلهية ..
- القضاء والقدر والتكليف الإنساني ..
- الإمامة والخلافة ونظام الحكم ..
- وعده الله ووعيده وحكمه مرتكب الكبيرة
- فقه العبادات والمعاملات ..
- الفكر الوافد ..
- التجديد الديني ..

## التوحيد والصفات الإلهية

الإنسان بطبيعته يتساءل عن الوجود ، ويبحث عن العلل والمعلولات ، ويحاول أن يكتشف المجهول ، ويضع علامات استفهام كبرى :

من أين هذا الوجود ؟

وإلى أين المصير ؟

وكيف وجد هذا الكون الفسيح ؟

وما الغاية منه ؟ ولم وجد ؟

وجاءت رسل الله ، وقامت الفلسفات ، واجتهد الناس قديماً وحديثاً ، ولما تنقطع هذه التساؤلات ، ولما يهدأ العقل الإنساني ، وظل مجتمع البشر يتعاش في المؤمن والكافر ، ويتوابع فيه صاحب الفضيلة وصاحب الرذيلة ، ويتصارع فيه الفلاسفة والعلماء ..

• • •

### تساؤلات القرآن :

وفي فجر الإسلام دارت تساؤلات عدة حول الألوهية والنبوة والبعث ، وقال المشركون - كما حكى القرآن :

• « من يحيى العظام وهي رميم ؟ » (١) .

• « أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن هذا لشيء عجيب » (٢) .

---

(١) سورة يس - الآية ٧٨

(٢) سورة ص - الآية •



• د لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم،<sup>(١)</sup> .

• د ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، وما يهلكنا إلا الدهر،<sup>(٢)</sup> .

وذات يوم قالوا للرسول ﷺ : أنسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى  
سورة الإنخلاص :

د قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا  
أحد ، .

وجاءت تساؤلات كثيرة من المسلمين واليهود والمشركين ، ساقها  
القرآن بأسلوب « يسألونك » ، تضمنت عقائد ونواميس وأخبارا  
وأحكاما .

فن العقائد :

• د ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من  
العلم إلا قليلا ،<sup>(٣)</sup> .

• د ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ، فيذرها قاتا  
صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمثا ،<sup>(٤)</sup> .

• د يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، فيم أنت من ذكراها ، إلى  
ربك منتهاها .. ،<sup>(٥)</sup> .

(١) سورة الزخرف — الآية ٣١ .

(٢) سورة الجاثية — الآية ٢٤ .

(٣) سورة الإسراء — الآية ٨٥ .

(٤) سورة طه — الآية ١٠٥ : ١٠٧ .

(٥) سورة النازعات — الآية ٤٢ : ٤٤ .

ومن النواميس :

• « يسألونك عن الأهلة ، قل هي مواقيت للناس والحج » (١).

ومن الأخبار :

• « ويسألونك عن ذى القرنين ، قل سأتلو عليكم منه ذكرا » (٢).

ومن الأحكام :

• « ويسألونك عن المحيض ، قل هو أذى ، فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن » (٣).

### حوار القرآن مع أهل الكتاب :

وأقام القرآن حوارا بين الرسول ﷺ وعلماؤه أهل الكتاب ، في قضايا العقيدة المتصلة بالآلوهية والرسالة .

فحول قضية التوحيد جاءت آيات كثيرة مثل :

« فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والأمين أسلمتم ، فإن أسلبوا فقد هتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد » (٤).

« قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل » (٥).

---

(١) سورة البقرة — الآية ١٨٩ .

(٢) سورة الكهف — الآية ٨٣ .

(٣) سورة البقرة — الآية ٢٢٢ .

(٤) سورة آل عمران — الآية ٢٠ .

(٥) سورة المائدة — الآية ٧٧ .

وحول قضية عيسى عليه السلام جاء قوله تعالى :

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، الحق من ربك فلا تكن من الممترين ، فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » (١) .

وحول قضية إبراهيم عليه السلام جاء قوله تعالى :

« يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون » (٢) .

وساق القرآن مجموعة تساؤلات وردت بلفظ « سل ، واسأل ، حملها الرسول ﷺ كي يوجهها لعلماء أهل الكتاب إلزاماً لهم وحجة عليهم ، مثل قوله تعالى :

« فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ، لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » (٣) .

والمراد هنا تأكيد بشارات الأنبياء بسيدنا محمد ﷺ .

« سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ، ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب » (٤) .

(١) سورة آل عمران - الآية ٥٩ : ٦١ .

(٢) سورة آل عمران - الآية ٦٥ .

(٣) سورة يونس - الآية ٩٤ .

(٤) سورة البقرة - الآية ٢١١ .

- ٩٠ -

والمراد هنا تأكيد صدق القرآن فيما أخبر عن بني إسرائيل .

• « واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » (١) .

والمراد هنا سؤال علماء أهل الكتاب ، وتأكيده قضية التوحيد التي التقي عليها رسل الله جميعا .

### تساؤلات السنة :

فإذا انتقلنا إلى ما سجلته كتب السنة النبوية وجدنا تساؤلات متعددة وقعت من الصحابة لرسول الله ﷺ ، تتعلق بقضايا العقيدة الكبرى وبدء الخلق ونهاية الوجود وآفاق الملائكة ، وعلى سبيل المثال فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال :

دخلت على النبي ﷺ : وعقلت ناقتي بالباب ، فأتاه ناس من بني تميم فقال : اقبلوا البشرى يا بني تميم .

قالوا : قد بشرتنا فأعطنا ( مرتين ) .

ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : اقبلوا البشرى يا أهل اليمن أن لم يقبلها بنو تميم .

قالوا : قد قبلنا يا رسول الله . . جئنا نسألك عن هذا الأمر .

قال : كان الله ولم يكن شيء غيره .

---

(١) سورة الزخرف - الآية ٤٥ .

وكان عرشه على الماء ..

وكتب في الذكر كل شيء ..

وخلق السموات والأرض ..

قال عمران : فنادى مناد ، ذهبت ناقتك يا ابن الحصين ، فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب ، فوالله لو ددت أنى كنت تركتها .

ففي هذا الحديث يقص عمران بن حصين مشهداً في حضرة رسول الله ﷺ ، لقد دخل عليه بنو تميم فقال لهم اقبلوا البشرى أى هلبوا أعلبكم عملاً صالحاً يصل بكم إلى الجنة ويحقق لكم السعادة الأبدية ، لكن القوم ظنوا البشرى مالا وما كل ومشارب فطلبوا العطاء العاجل وألحوا في سؤاله .

وفي هذه الأثناء دخل قوم آخرون جاءوا من أجل الهدف السامى ومعرفة الوجود الأهل والاستقامة على الحق ... فبدأ الرسول ﷺ يشرح الحق ويبين بدء الخلق ويحيب على تساؤلات القوم ..

• • •

وأخرج البخارى بسنده عن الزهرى قال :

أخبرنى أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر ، فلما سلم قام على المنبر ، فذكر الساعة ، وذكر أن بين يديها أموراً عظيماً ، ثم قال : من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه ، فوالله لا تسألونى عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت فى مقامى هذا ..

قال أنس : فأكثر الناس البكاء ، وأكثر رسول الله ﷺ أن يقول : سلونى ، فقام إليه رجل فقال : أين مدخلى يا رسول الله ؟

قال : النار ، فقام عبد الله بن حذافة فقال : من أبى يا رسول الله ؟

قال : أبوك حذافة ..

قال أنس : ثم أكثر رسول الله ﷺ أن يقول : سلوني .. سلوني .. فبرك عمر على ركبته فقال : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولاً .

فسكت رسول الله ﷺ حين قال عمر ذلك ثم قال :

« والذي نفس محمد بيده لقد عرضت على الجنة والنار آتفا في عرض هذا الحائط : وأنا أصلي ، فلم أر كاليوم في الخير والشر » .

ومعنى هذا الحديث أن النبي ﷺ أخذ يحث الناس على التساؤل عما يعين لهم من أمور الدين وعقائد الإسلام وحقائق الوجود ، لكن البعض أخذ يسأل استهزاءً أو تعجيزاً أو لهواً .

حتى سأل أحدهم عن مصيره في الآخرة أفي الجنة أم النار ؟

وسأل أحدهم عن حقيقة نسبه إلى أبيه .

وهنا أدرك عمر بن الخطاب بفطرته ونقاء سريرته وصدق عقيدته أن الأمر بدأ يأخذ مسلكاً غير طبيعي فحشا على ركبته وقال : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً .

• • •

### تساؤلات الفرق :

فإذا كان هذا هو ما حدث في فجر الإسلام ، والوحى ينزل ، والنبي ﷺ بين ظهراني أصحابه فهل تتوقف التساؤلات وينقطع الحوار على امتداد الزمن وتعاقب الأجيال مع استمرار أسبابه ودواحيه ؟ !

إن اختلاف الفرق الإسلامية حول قضية التوحيد والصفات الإلهية هو امتداد لفهم قضايا الوجود الكبرى والبحث عن الحقائق الأولية...

لقد طرحت تساؤلات بين الفرق الإسلامية مثل :

- هل الوجود عين الوجود أولا ؟
- هل الصفات عين الذات أو زائدة عليها ؟
- هل تقوم الحوادث بذاته تعالى أولا ؟
- هل البقاء هو الوجود المستمر أو زائد على الوجود ؟
- هل كلام الله معنى نفسى أو حرف وصوت ؟
- هل الاسم عين المسمى أولا ؟
- هل لله صفات هي اليد والوجه والاستواء .. أولا ؟
- هل يجب على الله شيء ؟ وما معنى الوجوب على الله ؟
- هل تتعاقب إرادة الله وقدرته بأفعال العباد التكليفية ؟

وتنازعت الفرق الإسلامية في جواب تلك التساؤلات التي اقترضوها وابتدعوها ..

لقد أقحمت قضايا ليست من أصول الدين ، ولم يتطرق إليها الوحي ، ثم إن الجهد العقلي فيها ضامر يتجاوز مسداه ، ويخوض فيها لا يجوز ، ويقيس الغائب على الشاهد ، ويهوى في متاهة فكرية لا حاصم لها ولا حدود فيها ، ويجادل بنير علم ..

ومن الخير للمسلم والعقل أن تحذر الخوض في هذه التساؤلات بتأكيد شهادة أن لا إله إلا الله وتقريرها على الوجه القرآنى في الربوبية والألوهية - والكمال المطلق والجلال الأعظم ..

— ٩٤ —

- « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين »، (١).
- « ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم »، (٢).
- « قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون »، (٣).

---

(١) سورة الاعراف: الآية ٥٤

(٢) طه: الآية ١١٠، ١١١

(٣) الانعام: الآية ٩١



## القضاء والقدر

### موقف المشركين :

من الأمور الشائكة التي تكلم الناس فيها قديماً وحديثاً مسألة القضاء والقدر ، وحاول المشركون على عهد رسول الله ﷺ الاحتجاج بالقدر، ونزل قوله تعالى «سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء» ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرون ، (١) .

فهذه شبهة تشبعت بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا من الطيبات بأن الله مطلع على ما هم فيه وهو قادر على تغييره بأن يلهمهم الايمان ويحول بينهم وبين الكفر ، ولما لم يغيره فهموا أن الله تعالى شاء ذلك منهم وأراد به ورضى عنه .

ورد الله تعالى عليهم بأن هذه الشبهة قد ضل بها أقوام من قبل ، وهي حجة داحضة باطلة ، لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه ودمر عليهم ، فهم في زعمهم هذا واهمون وعلى اعتقاد فاسد..

وتكرر هذا المعنى في قوله جل شأنه :

«وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ، ولا حرمنا من دونه من شيء» ، كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ، (٢) .

---

(١) سورة الأنعام — الآية ١٤٨

(٢) سورة النحل — الآية ٣٥

وجاء في تفسير هذه الآية :

يخبر تعالى عن اغترار المشركين بما هم فيه من الإشراك واعتذارهم محتجين بالقدر بقولهم : لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آبائنا ولا حرمنا من دونه من شيء ، أى من البعائر والسوائب والوصائل وغير ذلك مما كانوا ابتدعوه واخترعوه من تلقاء أنفسهم ما لم ينزل به سلطانا .

ومضمون كلامهم أنه لو كان تعالى كارها لما فعلناه لأنكره علينا بالعقوبة ولما مكنتنا منه .

قال الله تعالى راداً عليهم شبهتهم : فهل على الرسل إلا البلاغ المبين . أى ليس الأمر كما تزعمون أنه لم ينكره عليكم بل قد أنكره عليكم أشد الإنكار ، ونهاكم عنه أكد النهى ، وبعث في كل أمة أى في كل قرن وطائفة من الناس رسولا ، وكلهم يدعون إلى عبادة الله وينهون عن عبادة ما سواه (١) .

وفي موقف آخر حكى القرآن مقالة المشركين في رفضهم الإنفاق وإطعام الفقراء محتجين بالقضاء والقدر فقال : : وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله ، قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعمهم من لؤى شاء الله أطمعهم ، إن أنتم إلا في ضلال مبين ، (٢) .

والمعنى أنهم رفضوا الإنفاق بحجة أن الله تعالى يريد لهؤلاء الفقراء ولا يجوز أن يغنيهم الناس ، ولو شاء الله لأغناهم .

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٦٨

(٢) سورة يس - الآية ٤٧

ووصف القرآن هذا الزعم بأنه ضلال واضح بين .

### موقف المناققين :

وعقب غزوة أحد دار الجدل طويلاً حول القضاء والقدر بين المسلمين والمناققين، وطرحت فيه اتجاهات متعددة سجلها القرآن المجيد في قوله تعالى :

« إذ تصعدون ولا تلون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غمّاً بنم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون ، ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء ، قل إن الأمر كله لله ، يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك ، يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما اقتلنا ههنا ، قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليريح ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ، » (١) .

ففي غزوة أحد ابتلى المؤمنون بلاءاً شديداً بسبب مخالفة الرماة لأمر رسول الله ﷺ فتركوا أماكنهم التي يحمون منها ظهور المسلمين وزلوا يجمعون الغنائم بعد فرار المشركين وهويهم . وبمجرد ترك الرماة لمواقعهم تلبه المشركون وكروا على المسلمين فقتلوا منهم سبعين شهيداً ، وتفرق المسلمون في الأرض هائمين لا يتلفتون إلى أحد من شدة الهول ...

وأخذ رسول الله ﷺ ينادي عليهم قائلاً : إلى عباد الله ، أنار رسول الله من كرهه الجنة .

(١) سورة آل عمران الآيتان ١٥٣: ١٥٤

(٧ - الحوار)

وتراكم على المسلمين غم على غم ، تراكم عليهم غم الهزيمة وغم إشاعة أن الرسول قتل .. أو غم ما أصابهم عند الفشل والتنازع رغم ما وتنع عليهم من الهزيمة ، أو غم ما فاتهم من الغنائم رغم ما أصابهم من القتل .. وأيا ما كان فإن الغموم تعاقبت عليهم ليصير ذلك زجرا لهم عن المعصية والمخالفة وتربية لنفوسهم ودافعا لهم لتجاوز الواقع الآليم والنهوض ...

ثم بينت الآية أن الناس يوم أحد كانوا فريقين : فريقا آمن واستقر الإيمان في قلبه فهؤلاء آمنوا وجاءهم النعاس في وقت ما ولم يشعروا بخوف ليقينهم بأن الله ناصر دينه .

والفريق الآخر أهمتهم أنفسهم ولم يكن لهم من هدف إلا الغنيمة فلما غشي القوم ما غشيهم نالهم الفزع الأكبر وظنوا بالله غير الحق ظن الجاهلية وحملوا رسول الله مسئولية قتل من قتل بناء على أنه ﷺ أثر الخروج من المدينة حتى وصل أحدا وكان رأيهم أن يظلوا بالمدينة مدافعين عنها لا يخرجون منها .

فمعنى قوله تعالى على لسان المنافقين « هل لنا من الأمر من شيء » ، أنه تستفهام انكارى يعنى هل لنا من أمر يطاع ، ونظيره قوله تعالى « لو أطاعونا ما قتلوا » ، أو المعنى أين ما كان يعدنا به محمد من النصر والغلبة والتموة ؟

والرد على هذا التساؤل بمعنييه جاء قوله تعالى : قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما قلوبكم والله عليم بذات الصدور .

فالذين توهموا أن خروجهم إلى أحد عمل لهم الموت ذكرهم القرآن

المجيد أن الحذر لا يدفع القدر ، وأن التدبير لا يقاوم التقدير ، وأن الذين قدر الله عليهم القتل لا بد أن يقتلوا في مصارعهم التي عليها الله أزالا .

والذين توهموا أن هزيمة أحد تعني أن الله تخلى عن رسوله ولم يؤيده بنصره ذكرهم القرآن بأن الابتلاء قرين الإيمان وأنه ليس هناك جهاد بغير تضحيات ، وليس هناك معركة بغير شهداء ، وإنما هي إحدى الحسنين النصر أو الشهادة . . كما قال تعالى :

« إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداؤها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ، .

وهكذا كانت غزوة أحد مثاراً للفكر والجدل حول مسألة الحرية الإنسانية أو القضاء والقدر . . وخاض فيها المسلمون والمنافقون وسجلها القرآن الكريم هلاماً على الطريق .

### موقف الصحابة :

وجاءت روايات تفيد أن الصحابة — رضى الله عنهم — أفراداً وجماعات تكلموا في أمر القضاء والقدر .

وعلى سبيل المثال فقد أخرج البخارى في صحيحه بسنده أن على بن أبى طالب — رضى الله عنه — قال : إن رسول الله ﷺ طرقة وفاطمة بنت النبی — ﷺ — ليلة فقال : ألا تصليان ؟ فقلت : يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا .

فأنصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلى شيئاً ثم سمعته وهو يقول

يضرب نخذه وهو يقول : « وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً » .

لقد حرص الرسول الكريم على إيقاظ ابنته وزوجها لصلاة الليل حتى يتعرضوا لنفحات الله ويحصلوا على الثواب الجزيل الذي أعده الله للستغفرين بالأسحار .

واعترف علي بن أبي طالب رضى الله عنه بالقدر وقال : يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا .

وبمجرد أن سمع الرسول الكريم هذا الاعتذار لم يراجع علياً بشيء وإنما خرج متعجباً وهو يتذكر الآية الكريمة : « وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً » (١) .

وفي فقه هذا الحديث قال الإمام ابن حجر :

أنه ليس للإمام أن يشدد في النوافل حيث قنع - ﷺ - بقوله : « علي - رضى الله عنه : أنفسنا بيد الله ، لأنه كلام صحيح في العذر عن النفل ولو كان فرضاً ما عذره » .

وأما ضربه نخذه وقراءته الآية فдал على أنه ظن أنه أخرجهم فندم على انبأهم .

وقال النووي : المختار أنه ضرب نخذه تعجباً من سرعة جوابه وعدم موافقته له على الاحتذار بما اعتذر به والله أعلم (٢) .

وعن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ

(١) سورة الكهف - الآية ٥٤

(٢) فتح الباري : شرح صحيح البخارى ج ٣ ص ١١

خرج على الصحابة وهم يتنازعون في القدر ، هذا ينزع آية ، وهذا ينزع آية فكأنما فقه في وجهه حب الرمان فقال :

بهذا أمرتم - أو بهذا وكلمتم - أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ١٩ ، انظروا إلى ما أمرتم به فاتبعوه ومانهتكم عنه فاجتنبوه ، رواه أحمد وابن ماجه .

وفي موقف آخر تسامل الصحابة مع رسول الله في أمر القدر ، وجاء في صحيح مسلم أن علي بن أبي طالب قال :

كنا في جنازة في بقيع الخرقه فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه عصرة فنكس فجعل ينكس (١) بمنصرته ثم قال : ما منكم من أحد ، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار ، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة ، فقال رجل : يا رسول الله أفلا ننكس على كتابنا وندع العمل ؟ فقال : من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ، اعملوا فكل ميسر ، أما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فيسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ :

فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسييسره اليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره اليسرى .

وتعدد تساؤل الصحابة في هذا الأمر ، فجاء سراقه بن مالك وقال

---

(١) المخصرة - بكسر الميم - ما أخذه الإنسان بيده واختصر من عصا صغيرة وهكذا صغير وغيرهما ، ونكس - بتخفيف الكاف وتشديد الهمزة - لغتان فصيحتان أى خفض رأسه . ونكس أى خط خطاً يسيراً مرة بعد مرة .

- ١٠٢ -

يارسوله الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن ، فيما العمل اليوم أفما جفت  
به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل ؟

وقال رجل : يارسول الله أعلم أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : نعم  
قال : فقيم يعمل العاملون ؟

وجاء رجلان من مزينة فقالا يارسول الله أرأيت ما يعمل الناس  
اليوم ويكدحون فيه أشيء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما  
يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم ؟

وكانت إجابة رسول الله ﷺ في كل هذه الأحوال :

اعملوا فكل ميسر لما خلق له <sup>(١)</sup> .

ومع كل هذه التساؤلات والمناقشات لم يكن الموقف يمثل ظاهرة  
فكرية قلقة ولا اتجاها دينيا متحوبا ، وانتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق  
الأعلى ، والأمة مجتمعة على صفاء الفهم لكتاب الله وسنة رسوله . .

---

(١) راجع الروايات في صحيح مسلم بشرح النووي ح ١٦ ص



## موقف الفرق :

إن قضية القدر في مجملها ذات أفقين :

— أفق العلم الإلهي .

— أفق التكليف الإنساني .

حرم البعض على الأفق الأول وغالى فيه حتى نسى صحة التكليف وحتمية المسؤولية ، وجنح البعض إلى الأفق الثاني وركز عليه حتى غفل عن ضرورة إثبات السكالمطلق لله عز وجل في تعريف الكون والكائنات .

وتبلورت الاتجاهات الفكرية حول هذه المذاهب :

الجبهرية — القدرية الأولى — المعتزلة — الأشاعرة .

ولا خلاف بين المسلمين قاطبة أن النواميس الكونية في السماء والأرض كلها مخلوقة لله تعالى سبقت بها إرادته وعلمه . .

كذلك فإن الأفعال الاضطرابية للإنسان كنبض قلبه وحركة أمعائه وماقد يدهمه ويقع عليه بلا إرادة منه ولا قدرة معه — هي من تقدير الله وخلقه . .

ولا تكليف على الإنسان في هذين النوعين ولا مسئولية عليه حيالهما ولا يمدح أو يذم بسببها .

وعمل النزاع هو أفعال الإنسان الاختيارية والتي تلشأ عن إرادة من العبد وتصحبها قدرة منه عليها ، والتي هي الأمر والنهي في التشريعات الإلهية ، هنا نشأ الخلاف ، واحتدم الجدل وتنازعت الفرق وتعددت . .

## الإمامة والخلافة

### وفاة الرسول :

بلغ سيدنا محمد ﷺ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ..

وكان ﷺ في مجتمع المسلمين - النبي الذي يوحى إليه ..  
والإمام الذي يصون الأمة ويرعى شئونها ..  
والقائد الأعلى للجيش يقود المعارك ويتقدم الجيوش ..  
والقاضي الذي يلجأ الناس إليه في أمور دينهم ..  
والمتقى الذي يلجأ الناس إليه في أمور دينهم ووقائع حياتهم ..  
ثم هو ﷺ مولى كل مسلم ومسلمة ، يعود المريض ، ويواسي المكروب ،  
ويصل الرحم ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، ويمازح أصحابه ، ويتفقد  
أحوالهم في السراء والضراء ..  
وظل رسول الله ﷺ على ذلك حتى جاءه اليقين ، وكانت آخر كلماته  
وهو يفارق الدنيا :

- الصلاة وما ملكت أيمانكم ..
- لمن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ..
- اللهم الرفيق الأعلى ..
- أسأل الله الرفيق الأهل الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل ..
- مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء  
والصالحين وحسن أولئك رفيقا ..

لقد مرض رسول الله مرض الوفاة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من  
صفر في العام الحادى عشر للهجرة ، وتوفى يوم الإثنين لثنتى عشرة ليلة  
خلت من ربيع الأول ، فى اليوم الذى قدم فيه المدينة مهاجرا : واستكمل  
رسول الله ﷺ فى هجرته عشر سنين كاملة (١) . .

وعندما شاع خبر الوفاة انقسم الناس ما بين مصدق ومكذب ، حتى  
قام عمر بن الخطاب يخطب الناس ويتوعد من قال : مات بالقتل والقطع ،  
ويقول : لا يموت رسول الله حتى يغنى الله المنافقين . .

فأقبل أبو بكر الصديق ودخل حجرة السيدة عائشة ، وكشف عن وجه  
رسول الله ﷺ وأكب عليه يقبله ثم بكى وقال :

بأبى أنت وأبى يارسول الله . .

ما أطيبك حيا وميتا . .

ثم صعد المنبر وخطب الناس قائلا :

من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات .. ١١

ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت .. ١٢

ثم قرأ هذه الآية : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ،  
أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر  
الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ، (٢) .

(١) هذا هو المشهور عند أهل العلم وذكره ابن إسحق والواقدي  
وجزم به ابن سعد ، راجع البداية والنهاية لابن كثير ص ٢٥٤ ح ٥ - ط  
مكتبة المعارف - بيروت

(٢) سورة آل عمران - الآية ١٤٤

- ١٠٦ -

قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرفت أنه الحق،  
فعمرت<sup>(١)</sup> حتى ما تقلني رجلاي ، وحتى هويت إلى الأرض ، وعرفت  
حين سمعته تلاها أن رسول الله ﷺ قد مات .

إن إدراك العام يختلف عن إدراك الخاص ، فإدراك الشخص لجمال  
اللسان يختلف عن إدراك لجمال امرأة بعينها .

وإن إمكان الشيء غير وقوعه ، ففجأة الواقع أكثر أثراً من العلم  
بإمكانه ، فكل الناس يدركون أنهم ميتون لكن وقوع الموت يترك ألماً  
أشد وحزناً أعمق .

• • •

#### مؤتمر السقيفة :

فور تأكد خبر الوفاة اجتمع الأنصار في سقيفة<sup>(٢)</sup> بني ساعدة  
يتشارون في تنصيب خليفة منهم ، وأرادوا بيعه سعد بن عبادة سيد  
الخزرج .

وبلغ الخبر المهاجرين فتحرك أبو بكر وعمر وأبو هبيرة إلى السقيفة ،  
وجرت هناك مجادلات ، وقدمت اقتراحات ، وسيقت مبررات .

تكلم خطيب الأنصار قائلاً :

نحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط نبينا ،

---

(١) عمرت — بضم العين وكسر القاف — أى هلكت ، وفي رواية  
بفتح العين أى دهشت وتحيّرت .

(٢) السقيفة مكان يجتمعون فيه لمناقشة أمورهم .

وقد دفت دافة<sup>(١)</sup> منكم تريدون أن تختزلونا من أصلنا وتحصنونا من الأمر .

تكلم أبو بكر قائلاً :

ما ذكركم من خير فأنتم أهله ، وما تعرف العرب هذا الأمر<sup>(٢)</sup> إلا لهذا الحى من قریش ، هم أواسط العرب نسباً وداراً .

وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيها شتم ، وأخذ يبدى عمر وأبى عبيدة .

فقام الحباب بن المنذر فقال :

أنا جديها المحكك ، وعذيقها المرجب<sup>(٣)</sup> . هنا أمير ومنكم أمير يا معشر قریش .

فكثر الغلظ وارتفعت الأصوات فقام عمر بن الخطاب وقال : أبسط يدك يا أبا بكر أبايعك .

وحصلت هجمة كاد أن يموت فيها سعد بن عباد ، فقال قائل من الأنصار : قتلتم سعدا .

فقال عمر : قتل الله سعدا .

وتكلم أبو بكر فلم يترك شيئاً أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلا ذكره وقال :

(١) أى جماعة .

(٢) أى الرئاسة والإمارة .

(٣) يصف نفسه بالدعاء والدعاء .

لقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال : لو سلك الناس واديا وسلكت  
الانصار وادياً لسلكت وادي الانصار .

ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قاله — وأنت قاعد — :  
قريش ولاة هذا الأمر ، فبر الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم .

فقال سعد بن عباد : صدقت ، نحن الوزراء وأنتم الأمراء .

فتمت بيعة أبي بكر من الحاضرين المهاجرين والانصار ، وكان ذلك  
مساء يوم الاثنين ، يوم وفاة الرسول ﷺ .

٤ على بيعة أبي بكر أنشاء معمعة  
ما وقال : أما والله ما وجدنا فيما  
أبي بكر ، خشينا إن فارقتنا القوم ولم  
فأما أن نبايعهم على ما لا نرضى ،  
نبايع أميراً من غير مشورة المسلمين  
، وإنها تغرة<sup>(١)</sup> يجب أن يقتل<sup>(٢)</sup> .

• •

(١) تغرة : بمعنى التغيرير والخذاع .

(٢) راجع الروايات في البداية والنهاية لابن كثير ص ٢٤٥ ح •

ط مكتبة المعارف — بيروت .

### موقف علي بن أبي طالب :

تخلف آل بيت النبي ﷺ عن اجتماع السقيفة لملازمهم الجسد الشريف .

ولما تمت يعة أبي بكر في السقيفة ، اجتمع الناس صبيحة يوم الثلاثاء في المسجد لبيعة الصديق يعة حامة من المهاجرين والأنصار قاطبة .

وحين صعد أبو بكر المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير الزبير بن العوام فدعا به فجاء فقال له :

ابن عم رسول الله وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ ١٩

فقال الزبير : لا تثريب يا خليفة رسول الله وقام فبايعه .

ثم نظر أبو بكر فلم ير علي بن أبي طالب ، فدعا به فجاء فقال له :

ابن عم رسول الله وختنه علي ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ ٢٠

فقال علي : لا تثريب يا خليفة رسول الله وقام فبايعه .

وقد روى تلك البيعة من علي بن أبي طالب — ابن خزيمة والبيهقي ..

ثم حدثت خلافات بين الصديق وفاطمة الزهراء بشأن ميراثها من خير وفدك<sup>(١)</sup> ، فقد روى الصديق حديث رسول الله ﷺ : نحن معاشر الأنبياء ، ما تركنا فهو صدقة ، وإنما يأكل آل محمد من هذا المال .

---

(١) فدك قرية شمال المدينة كانت لليهود وسلبوها للرسول دون قتال .

ولم تكن السيدة فاطمة هي وحدها الوارثة لرسول الله فهناك أزواجه وعمة العباس لمحبهم جميعاً أبو بكر بهذا الحديث .

وظلت السيدة فاطمة على رأيها في وجوب الميراث ثم اقترحت على أبي بكر أن يجعل على بن أبي طالب مشرفاً على هذه الأرض ينظر في خلتها وتمرتها وينفق منها على من يستحق ، فرفض أبو بكر بناءً على أنه خليفة رسول الله والقائم بالأمر بعده ، فهو أحق بالإشراف على أموال المسلمين والتصرف فيها .

فأحدث ذلك غضباً شديداً للسيدة فاطمة الزهراء فاعتزلت الصديق حتى توفيت بعد ستة أشهر من انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وطاوعها في ذلك زوجها على بن أبي طالب ، وآثر الوقوف بجانبها مراعاة لحاظها ، حتى إنه دفنها ليلاً دون أن يعلم أبا بكر .

فإذا حدث بعد وفاة السيدة فاطمة رضى الله عنها ؟

يسوق الإمام البخاري هذه الرواية :

وكان لعل من الناس وجه حياة فاطمة ، فلما توفيت استنكر على وجوه الناس ، فالتفت مصالحةً أبي بكر ومبايعته ، ولم يكن بايع تلك الأشهر .

فأرسل إلى أبي بكر : اثنتا ولا يأتنا معك أحد ، وكره أن يأتيه عمر ، لما علم من شدة عمر .

فقال عمر : والله لا تدخل عليهم وحدك .

قال أبو بكر : وما عسى أن يصنعوا بي ، والله لا يتيهم .

فانطلق أبو بكر .

قال على : إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله ، ولم تنفس عليك خيراً



سأفه الله إليك ، ولكنكم استبددتم بالأمر ، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ أن لنا في هذا الأمر نصيباً .

فلم يزل على يذكر حتى بكى أبو بكر وقال :  
والذي نفسى بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلّ أن أصل من قرايتي .

وأما الذي شجر بينكم في هذه الأموال فإني لم آل فيها من الخير ، ولم أترك أمراً صنعه رسول الله ﷺ إلا صنعته .

فلما صلى أبو بكر الظهر رقى على المنبر فتشهد وذكّر شأن علي وتخلّفه من البيعة وعذره بالذي اعتذر به .

وتشهد على فعظم حق أبي بكر وذكّر فضيلته وسابقته ، وحدث أنه لم يحمل على الذي صنع نفاسة على أبي بكر ، ثم أقام إلى أبي بكر خبايعه .

فأقبل الناس على علي بن أبي طالب فقالوا : أحسنت ، وكان الناس إلى علي قريباً حين راجع الأمر بالمعروف ، .

وإذا كان حديث البخاري هذا ينص على أن علياً لم يبايع إلا بعد وفاة السيدة فاطمة وأنه اعتذر عن تخلّفه هذه المدة فإن العلماء يرون أن المثبت مقدم على النافي وأن حديث ابن خزيمة والبيهقي مثبت فيقدم على النافي .

وأكد الإمام ابن كثير أنبيعة علي بن أبي طالب للصديق تمت في اليوم الأول أو الثاني للوفاة وأن هذا حق لأن علياً لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات ولم ينقطع في صلاة من الصلوات تخلّفه ، وأنه

نخرج مع الصديق إلى ذى القعدة<sup>(١)</sup> يريد قتال المرتدين<sup>(٢)</sup>.

وأياماً كان، وسواء أثبتنا البيعة الأولى يوم الثلاثاء عقب اجتماع السقيفة أو اكتفينا بالبيعة الثانية بعد وفاة السيدة فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - فإن المنى لا مرية فيه أن على بن أبي طالب رضى الله عنه ظل مع الصديق خلافته ومع الفاروق خلافته - نعم الوزير والصاحب والناصح، وشارك في كافة شئون الدولة، ولم يتخلف عن مهمة توكل إليه أو عمل يسند إليه.

ولم تكن مسألة الخلافة محل نقاش أو سبب نزاع منذ وفاة السيدة فاطمة الزهراء، والتقى الجميع على هدف واحد هو بناء الدولة وتثبيت دعائم الحكم الإسلامى ونشره في أرض الله الواسعة.

وعلى المستوى الأسرى فقد تزوج أبو بكر أسماء بنت عيسى أم ولد الشهيد الطيار جعفر بن أبي طالب، فولدت له محمداً، فلما اتوفى أبو بكر تزوجها على بن أبي طالب وتكفل به محمد بن أبي بكر ونشأ في حجره... فلما آلت الخلافة إلى على بن أبي طالب جعل محمد بن أبي بكر والياً على مصر لكن معاوية بن أبي سفيان بعث عمرو بن العاص فاستولى على مصر وقتل محمد بن أبي بكر وصلبه.

وتزوج عمرو بن الخطاب أم كلثوم الكبرى بنت على بن أبي طالب من زوجة السيدة فاطمة الزهراء، فولدت له زيدا ورقية وقيل فاطمة<sup>(٣)</sup>.

(١) موقع على بعد مرحلة من المدينة.

(٢) البداية والنهاية ص ٢٤٩ ح ٥

(٣) راجع كتاب المعارف لابن قتيبة المتوفى ٢٧٦ هـ ص ١٠١.

١٠٧ ط دار الكتب العلمية بيروت وكتاب من البداية لابن كثير ص ١٢٩.

٣١٩ ح ٧ ط مكتبة المعارف - بيروت.

## الفتنة الكبرى

### (أ) خلافة عثمان بن عفان :

التقى شمل المسلمين في عهد الشيخين أبي بكر وعمر، وقامت الخلافة الراشدة تفتح القلوب والعقول وتبسط النور والهداية في كل مكان وتحركت كتائب الإسلام لفتوحات العراق والشام، ولجأة قام أبو لؤلؤة المجوسي بطعن عمر وهو قائم يصلي فمضى عمر بن الخطاب شهيدا بعد أن جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر، هم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة ابن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن ابن عوف وجعل ابنه عبد الله بن عمر يحضر مجلس الشورى يبدى النصيحة ويرجع عند الانقسام ولا يتولى شيئا.

وأوصى أن يصلى بالناس صهيب الرومي ثلاثة أيام حتى تلقى الشورى ويختار الخليفة.

وانتهى الأمر باختيار عثمان بن عفان خليفة وإماما للمسلمين في بداية العام الرابع والعشرين للهجرة.

ولقد لخص الإمام الشهرستاني الموقف في خلافة عثمان رضي الله عنه فقال: انتظم الأمر، واستمرت الدعوة في زمانه، وكثرت الفتوح، وامتلاء بيت المال، وعاش الخلق على أحسن خلق، وطاملمهم بأبسط يد.

خير أن أقاربه من بني أمية قد ركبوا نهار<sup>(١)</sup> فركبته، وجاروا فجير

---

(١) نهار: مهالك، جمع نهيرة بضم النون فيهما.

عليه، ووقعت في زمانه اختلافات كثيرة، وأخذوا عليه أحداثاً، كلها محالة<sup>(١)</sup> على بني أمية.

منها رده الحكم بن أمية إلى المدينة بعد أن طرده رسول الله ﷺ، وكان يسمى طريداً رسول الله<sup>(٢)</sup>، وبعد أن تشفع إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أيام خلاقتهما فما أجاباه إلى ذلك، ونفاه عمر من مقامه باليمن أربعين فرسخاً.

ومنها نفيه أبازر إلى الريدة<sup>(٣)</sup>.

وتزويجه مروان بن الحكم بفتة وتسليمه خمس غنائم أفريقية له وقد بلغت مائتي ألف دينار.

ومنها إيواؤه عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وكان رضيعه، بعد أن أهدر النبي ﷺ دمه، وتوليته إياه مصر بأعمالها<sup>(٤)</sup>.

وتولييه عبد الله بن عامر البصرة حتى أحدث فيها ما أحدث، إلى غير

(١) محالة أى محولة ومنسوبة

(٢) أسلم الحكم يوم فتح مكة ثم كان يفتش سر رسول الله ﷺ فلغنه وطرده إلى بطن وج «مكان بالطائف» ثم أدخله عثمان وأعطاه مائة ألف درهم وكان للحكم واحد وعشرون ابناً وثمانى بنات، «راجع المعارف لابن قتيبة ص ١٩٩»

(٣) مكان شرق المدينة، وكان أبو ذؤيب يفتى بحرمه من يدخو فوق قوته ويوجب التصديق بالفضل من المال

(٤) أسلم عبد الله بن سعد، وكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم ارتد ولحق بمكة مشركاً وفي عام الفتح جاء إلى عثمان بن عفان «أخيه لأمه من»

- ١١٥ -

ذلك بما تقوموا عليه ..» (١١) .

وقد اشتدت حملة العصيان والتمرد على الخليفة وتجمع البغاة من كل صوب وحذب وأحكموا الحصار حول بيت الخليفة وأغلقت المدينة أبوابها .

وفي يوم الجمعة لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين للهجرة أقتحمت دار الخليفة وأحرق بابها ووصلوا إليه وهو صائم جالس والمصحف بين يديه فشجوا رأسه وشدوا لحيته وكسروا أضلاعه وشقوا بطنه وقطعوا حلقة وقتلوه شر قتله .

---

للرضا « فاستأن له فأمناه النبي ﷺ وشارك بعد ذلك فى فتح مصر وبلاد أفريقيا

(١) عبد الله بن عامر هو ابن خالد عثمان ، ولده البصرة بعد غزول أبى موسى الأشعرى وولاده بلاد فارس بعد غزول عثمان بن أبى العاص ، وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة .

راجع الملل والنحل للشهرستانى ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ص ٢٤ ط دار الفكر — بيروت

### ب - خلافة علي بن أبي طالب :

أسقط في أيدي الصحابة بعد مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه ،  
ووجدوا أنفسهم في موقف لم يكن في الحسبان ، فلم يظن ظان أن هؤلاء  
البناة مقدمون على تنفيذ جريمتهم !

وتلفت الصحابة فيمن يقود الدولة ويتولى شئون الرعية ، ويحافظ  
على الثغور ، ويرد كيد المتربسين بالإسلام ..

وانقسمت الترشيحات للخلافة ، فأراد المصريون مبايعة علي بن أبي  
طالب ، وأراد الكوفيون مبايعة الزبير بن العوام . وأراد البصريون  
مبايعة طلحة بن عبيد الله .. كما عرضت الإمامة على سعد بن أبي وقاص  
وعبد الله بن عمر ..

وكل هؤلاء يرفضون الإمامة لأن الوقت وقت فتنة ، اختلطت فيه  
الأمور ، وتكالبت قوى الشر الداخلية ، وغلب جهلة الأعراب  
والرطاع ..

وبعد لآى وتردد قبل الخلافة علي بن أبي طالب يوم الخميس ، الرابع  
والعشرين من ذى الحجة عام خمسة وثلاثين للهجرة ..

وامتنع عن مبايعته طائفة من الأنصار والمهاجرين وذهبوا إلى الشام  
أبراراً حوا إلى مكة ، وكانت أمهات المؤمنين يؤدين الحج في هذا العام . فلما  
قتل عثمان أقرن بمكة ورفض العودة إلى المدينة فراراً من الفتنة وانتظاراً  
لما تكشف عنه الأيام ..

وخرج النعمان بن بشير ومعه قيص عثمان مضمخ بدمه ، وبه أصابع  
ناظلة امرأة عثمان ، ولم ذلك لمعاوية بن أبي سفيان بالشام فوضعه

معاوية على المنبر ودعا الناس إلى الأخذ بثأر عثمان ، وظل الناس يتباكون حوله مدة عام ..

واشتعلت الخلافات بين علي ومعاوية ، وانقسم الناس بين الولاين ، ووقعت معركتان راح ضحيتهما آلاف مؤلفة من المسلمين ، هما وقعة الجمل وموقعة صفين ..

ثم حدثت خدعة التحكيم ، وتمرد بعض أنصار علي بن أبي طالب وخرجوا عليه .

وكانت النهاية أن اتفق الخوارج على التخلص من علي ومعاوية وعمر بن العاص ، وبعثوا إلى كل واحد من هؤلاء من يترصد له ويقتله ..

فقام عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحيرى بتوجيه ضربة بسيف مسمم إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فى سحر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان عام أربعين من الهجرة ..

ومكث رضى الله عنه يوم الجمعة وصباح السبت وتوفى ليلة الأحد .. ونجا معاوية بن أبي سفيان من محاولة اغتياله فلم تكن ضربه قاتله ، ولم يخرج عمرو بن العاص ليلتها فى صلاة الفجر لمرض ألم به ، فأصابه الضربة نائمة فى الصلاة ، فخرجت بن أبي حبيبة من بنى عامر فقتل ..

وقد حاول البعض البيعة للحسن بن علي لكنهم ما لبثوا أن تفرقوا عنه ، كما تفرقوا عن أبيه من قبل .. فلم يجد بدا من التنازل عن الإمارة لمعاوية ..

وبذلك طويت صفحة الخلافة الراشدة ، وأصبحت ملكاً عضواً ، ابتدعه بنو أمية ..

وكان الشهرستانى صائلاً حكيماً عندما قال :

وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامه ، إذ ما سل سيف في الإسلام  
على قاعدة دينية مثلاً سل على الإمامة في كل زمان ، (١) .

وواصل الفكر الإسلامى تساؤلاته :

— هل الإمامة ركن من أركان الدين أو مصلحة من مصالح المسلمين ؟

— وهل الإمامة بالنص أو بالاختيار ؟

— وهل الإمام معصوم أو رجل من المسلمين له وعليه ؟

— وهل الأئمة من قریش أو من عامة المسلمين ؟

وتعددت الآراء وتباينت المواقف ..

ونؤكد نقطة ذات بال وهى :

أن قضية الإمامة فى الفكر الإسلامى لها جانبان :

أ — جانب تاريخى ينبغى التوقف عن الخوض فيه ، ونتمثل قول  
الله تعالى « تلك أمة قد خلت ، لما ما كسبت واسم ما كسبتهم ولا تسألون  
عما كانوا يعملون » (٢) .

ب — جانب اجتهادى يتصل بفقه الإمامة فى الإسلام ، ويحتاج إلى  
يقظة ووعى وإخلاص كي نصلح واقع المسلمين المعاصر ، وهذا هو ما يجب  
العناية به والاهتمام ..

---

(١) الملل والنحل ص ٢٢ .

(٢) سورة البقرة — الآية ١٤١ .



## الوعد والوعيد

الوعد يكون بالخير .

والوعيد يكون بالشر .

والمراد بالوعد والوعيد شرعاً الثواب والعقاب اللذان أخبر بهما القرآن الكريم والسنة النبوية جزاء للأعمال البشرية ، فقد جاء الثواب مرتبطاً بالعمل الصالح ، وجاء العقاب مرتبطاً بالفحشاء والمنكر والبغى . .

وكان ثواب الله مضاعفاً ، وعقاب الله بقدر المعصية ، قال تعالى « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يـؤى إلا مثلهـا وهم لا يظلمون » (١) .

وثواب الله قد يكون عاجلاً في الدنيا بركة ونماء ونصرة وتأيداً وقد يكون آجلاً وهو الأبقى في الجنة ونعيمها ..

وعقاب الله قد يكون عاجلاً في الدنيا ضنكاً وشقاء وهزيمة ونكالا ، وقد يكون آجلاً وهو الأبقى في النار وعذابها ..

قال تعالى « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » (٢) .

وقال جل شأنه . فكلما أخذنا بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقناه وما كان الله ليعظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، (٣) .

---

(١) سورة الأنعام - الآية ١٦٠ (٢) سورة غافر الآية ٥١

(٣) سورة العنكبوت - الآية ٤٠ .

وجاءت نصوص شرعية تفيد أن دخول الجنة هو جواز العمل الصالح، كما في قوله تعالى : « ونودوا أن تلحم الجنة؛ أو رثموها بما كنتم تعملون، » (١).

ومع ذلك فقد قال رسول الله ﷺ : « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا : ولا أنت يا رسول الله قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة ، ».

وجاءت نصوص تفيد تخلف الوعيد ودخوله تحت المشيئة ، كما في قوله تعالى « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ، » (٢).

وفي صحيح الحديث أن النبي ﷺ قال :

يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده ، وما حق العباد على الله ؟

قال معاذ : الله ورسوله أعلم ، قال عليه الصلاة والسلام : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً .

قال معاذ : يا رسول الله أفلا أبشر الناس ؟ قال : لا تبشروهم فيسكلوا ،

ووردت نصوص شرعية تثبت الماء كل المشارب في النعيم والجحيم كما في قوله تعالى « مثل الجنة التي وعد المتقون ، فيها أنهار من ماء خير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ، ومنغرة من ربهم ،

(١) سورة الأعراف الآية ٤٣

(٢) النساء الآية ٤٨

كن هو خالد في النار وسقوا ماء حيا فقطع أمعاءهم، (١) .

وأكدت النصوص أن هذا الوعد وذلك الوعيد يستحقه أصحابه  
هل الخلود .

قال تعالى في أصحاب الجنة « خالدين فيها لا يغيون عنها حولا ، (٢) .

وقال تعالى في أصحاب النار « فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا ، (٣) .

واختلف الفرقاء في فهم الوعد والوعيد وتوالت تساؤلات :

— هل يجوز تخلف الوعد والوعيد عقلا وشرعا أو لا ؟

— وهل ثواب الله فضل وعقابه عدل أو أن كليهما في أصله عدل  
لا فضل فيه ؟

— وهل المراد بالشرك ما يعم الشرك العقدي والشرك العملي أو أنه  
وقف على الشرك العقدي فقط ؟

— وهل الخلود بمعنى المكث الطويل أو أنه المكث الأبدى الذي  
لا ينقطع ولا يزول ؟

— وهل تتحقق آخرة الله تعالى بغناء جميع خلقه في الدنيا أو في  
الدنيا والآخرة معاً ؟

— وهل الجواء الأخرى 'مادى أو معنوى ؟

وساق الفكر الوافد على البيئة الإسلامية مقدمات فكرية التزم بها  
البعض وحمل عليها نصوص الشرع ودار جدل طويل حول المعاد والجواء

---

(١) سورة محمد الآية ١٥

(٢) ، الكهف الآية ١٠٨

(٣) ، الجن الآية ٢٣

هذا وقد خرج المسلمون من معمعة الصراع السياسي حول الإمامة والخلافة مشغني الجراح ، مكلومي القلب ، فقد قتل أئمة الصحابة والتابعين وتقطعت أرحام المؤمنين ، ووقف أعلام الأمة مواقف لا يحسدون عليها .

وكان الحجاج بن يوسف الثقفي<sup>(١)</sup> أكثر الناس عدوانا على المسلمين .

وكانت الخوارج أكثر الشيع إرهاباً لمجتمع المسلمين .

وتوالى المجازر البشرية من الأمويين للعلويين ثم تولى كبرها العباسيون فتعقبوا كلا من الأمويين والعلويين ، واستبيحت الدماء واستحلت المحارم ، وهدمت الكعبة<sup>(٢)</sup> .

وتساءل الناس عن حكم مرتكب الكبيرة ، وما جواز البغاة المحاربين للإمام ؟ وما حكم المتغلب على الحكم ؟ وهل للقاتل توبة ؟ وتباينت الفرق في الجواب عن هذه التساؤلات .

ونستطيع أن نقرر أن مسألة مرتكب الكبيرة والوعد والوعيد في الفكر الإسلامي نشأت نشأة سياسية ، وتدخلت فيها تأثيرات الفكر الوافد ، وارتبطت بأحداث تاريخية فات وقتها ، وباء يائهما من بلاء ومضى شهيداً من مضى .. وتحتاج منا الآن إلى نظرة إسلامية صافية .

(١) توفي الحجاج عام ٩٥ هـ وكان والياً للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على الحجاز مدة ثلاث سنين ثم على العراق مدة عشرين عاماً .

(٢) رميت الكعبة بالمنجنيق وأحرقت سنة ٩٤ هـ أثناء حصار ابن الزبير في عهد يزيد بن معاوية ، ثم هدمها ابن الزبير وأعاد بناءها وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابين ، ولما قتل الحجاج سنة ٧٣ هـ هدم الكعبة وأخرج منها الحجر وسد الباب الغربي .

## فقه العبادات والمعاملات

من مسائل الاجتهاد التي نشأت على هدى منها مذاهب كثيرة — الأحكام العملية في الإسلام، أو ما يسمى بفقه العبادات والمعاملات، وقد تعددت المذاهب وتباينت، فكان الفقه الشيعي والفقه السني، وانقسم كل منهما إلى مذاهب.

وهي سبيل المثال انقسم الفقه السني إلى مذاهب، أشهرها:

ومذهب أبي حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠ — ١٥٠ هـ).

ومذهب مالك بن أنس (٩٣ — ١٧٩ هـ).

ومذهب محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ — ٢٠٤ هـ).

ومذهب أحمد بن حنبل (١٦٤ — ٢٤١ هـ).

ومذهب داود الظاهري (٢٠٠ — ٢٧٠ هـ).

ولم تكن نشأة المذاهب الفقهية بدعا من الأمر، بل جاءت امتداداً لأمور كثيرة في العهد النبوي منها:

أولاً: أدلة القرآن الكريم:

إن الفهم لأحكام القرآن الكريم يقتضي الإحاطة بعلوم شتى، وإذا لم تتوافر لدى المجتهد أدب إلى نشأة الخلاف وتعدد الآراء، وأهم هذه العلوم:

— أسباب النزول.

— فقه اللغة العربية.

— النسخ والمسخ.

فإن معرفة سبب النزول يعين على فهم الأحكام القرآنية ، والجهد به يوقع في الشبه ويدفع إلى النزاع .

وقد وقع في عهد الصحابة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل قدامة بن مطعون على البحرين ، فقدم الجارود على عمر فقال : إن قدامة شرب فسكر .

فقال عمر : من يشهد على ما تقول ؟

قال الجارود : أبو هريرة يشهد على ما أقول .

فاستقدم عمر قدامة وقال له :

يا قدامة إني جالدك . .

قال - والله لو شربت كما يقولون ما كان لك أن تجلدني .

قال عمر : ولم ؟ قال : لأن الله يقول : ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا و عملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين ، (١) .

فقال عمر : إنك أخطأت التأويل يا قدامة ، إذا اتقيت الله اجتلبت ما حرم الله .

وفي رواية : فقال : لم تجلدني ؟ بيني وبينك كتاب الله .

فقال عمر : وأى كتاب الله تجد أن لا أجلدك ؟

قال : إن الله يقول في كتابه : ليس على الذين آمنوا .. الآية ، ، فأنا من الذين آمنوا و عملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا ، شهدت مع رسول الله ﷺ بدرأ وأحدا والخندق والمشاهد .

فقال عمر : ألا تردون عليه قوله ؟

فقال ابن عباس : إن هؤلاء الآيات أنزلن عذراً للمؤمنين وحجة على  
الباقيين ، فعذر الماضيين بأنهم لقوا الله قبل أن تحرم عليهم الخمر ، وحجة  
على الباقيين لأن الله يقول : يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر  
والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ،  
إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ،  
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون وأطيعوا الله وأطيعوا  
الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين<sup>(١)</sup> .  
فإن كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا  
وأحسنوا فإن الله قد نهى عن أن يشرب الخمر .

قال عمر : صدقت<sup>(٢)</sup> .

• • •

وإن فقه اللغة العربية في حقيقتها ومجازها وأساليب بيانها — أمر مهم  
في فهم أحكام القرآن لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين .  
وقد اختلف الفقهاء — تبعاً لذلك — في فهم نصوص القرآن وأحكامه  
وعلى سبيل المثال :

• قال الله تعالى : والمطلقات يتربض بأنفسهن ثلاثة قروء<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة المائدة ، الآية ٩٠ : ٩٢

(٢) الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحق الشاطبي المتوفى ٧٩٠ هـ .  
تحقيق الشيخ عبد الله دراز وآخرين ج ٢ ص ٢٥٩ ط دار الكتب العلمية  
— لبنان .

(٣) سورة البقرة — الآية ٢٢٨

هل المراد بالقرء الطهر أو الحيض ؟

ويترتب على ذلك بدء العدة ونهايتها ، حتى يمكن مراجعة المطلقة في العدة أو تحل لزواج آخر عقب انتهاء العدة .

• وقال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنباً فاطهروا ، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه » (١) .

فقوله « وأيديكم إلى المرافق » .

هل الغاية داخلة في الحكم أولاً ؟

فالجمهور على أن المرافق داخلة في غسل اليدين وجوبا .

وقال زفر وداود والطبري وبعض متأخري المالكية — غير داخلة في الحكم فلا يجب غسلها .

وقوله : « وامسحوا برءوسكم » .

هل الباء للتبويض أو للاستيعاب أو للإلصاق .

فذهب الأحناف إلى مسح ربع الرأس وذهب المالكية إلى مسح كل الرأس وذهب الشافعية إلى أن الوجوب يتحقق ولو بشعرة .

وقوله : « أو لا مستم النساء » .

هل المراد باللامسة المعاشرة الزوجية أو اللبس والمس بالبشرة ؟  
خلاف بين العلماء .

• • •



وإن معرفة الناسخ والمبسوخ يحدد الحكم القائم اليوم ، فقد جاءت  
نصوص شرعية في الكتاب والسنة تذكر أحكاما ألزم بها الناس فترة زمنية  
ثم تلاها أحكام أخرى استقرت في الشريعة وأصبحت بدلا عن الأحكام  
السابقة .

فقوله تعالى : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم  
متاعا إلى الحول غير إخراج » (١) .

نسخه قوله تعالى « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن  
بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » (٢) .

• وقوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم  
محصنين غير مسافحين » (٣) .

عقب ذكر المحرمات من النساء .

نسخه قوله ﷺ « لا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها » .

• كان التوجه إلى بيت المقدس في الصلاة بعد الهجرة بسنة نبوية ثم  
نسخ بقوله تعالى « فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا  
وجوهكم شطره » (٤) .

• وصوم عاشوراء كان واجبا بالسنة ونسخه قوله تعالى في وجوب

(١) سورة البقرة - الآية ٢٤٠

(٢) سورة البقرة - الآية ١٣٤

(٣) سورة النساء - الآية ٢٤

(٤) سورة البقرة - الآية ١٤٤

صيام شهر رمضان « فن شهد منكم الشهر فليصمه » (١) .

• • •

### ثانياً : السنة النبوية :

السنة النبوية هي المينة للقرآن والشارحة له ، وهي أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته .

وقد اجتهد العلماء في السنة رواية ودراية ، فقسموا السنة إلى ما هو متواتر وما هو آحاد ، ووضعوا شروطاً للقبول والرد ، والتصحيح والتحسين والضعف .. إلخ .

وكان لفقه الحديث أثر كبير في تعدد المذاهب ، فتقسم الطلاق إلى سني وبدعي والحكم على البدعي بالوقوع أو عدم الوقوع — كان انطلافاً من فقه حديث ابن عمر عندما طلق زوجته وهي حائض ، فقال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب : مره فليراجعها ثم ليتركها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد ، وإن شاء طلق قبل أن يمس ، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء .

ووقع اجتهاد بشأن حديث فاطمة بنت قيس في أن الرسول ﷺ لم يجعل لها سكنى ولا نفقة إذ طلقها زوجها ألبتة ، فقد رده عمر وقال : لا تترك كتاب ربنا ولا سنة نبينا لقوله امرأة لا تدرى لعلها حفظت أو نسيت .

---

(١) سورة البقرة — الآية ١٨٥ ، هذا وقد أنكر أبو مسلم الاصفهاني النسخ وجعله تخصيصاً في عموم الأزمان ، ولمزيد من التفاصيل راجع كتاب « السنة مع القرآن » للدكتور / سيد أحمد رمضان المسير ص ١٨٠ الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

والذين قبلوا روايه هذا الحديث حملوه على أنها بذمت على أهل زوجها  
بلسانها فكان ذلك تفسير القوله تعالى « ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة  
مبينه » (١) .

فالفاحشة هي فحش القول أو العمل ..

ووقع اجتهاد بين العلماء بشأن الحامل المتوفى عنها زوجها، متى تنتهي  
عدتها؟ فهل عدتها بوضع الحمل طالبت المدة أو قصرت لأن الله تعالى يقول  
« وأولات الأحمال أجلن أن يضعن حملن » (٢) .

ولحديث سبيعة الأسلمية إذ ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر  
فأخبرها النبي ﷺ أن قد حلت ؟

أو أن عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعد الأجلين : عدة الوفاة  
أربعة أشهر وعشر أو وضع الحمل ؟

رأى الإمام الشاطبي :

وقد بحث العلماء كثيرا من هذه المسائل تحت عنوان : الظنى المعارض  
لأصل قطعى ، فقال الإمام الشاطبي :

وللمسألة أصل فى السلف الصالح ، فقد ردت عائشة رضى الله عنها  
حديث « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » لقوله تعالى « أن لا تزر وازرة  
وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » (٣) .

ورود حديث رؤية النبي ﷺ لربه ليلة الإسراء ، لقوله تعالى

(١) سورة الطلاق — الآية ١ .

(٢) سورة الطلاق — الآية ٤ .

(٣) سورة النجم — الآية ٣٨ : ٣٩

(٩ - الحوار)

« لا تدركه الأبصار »<sup>(١)</sup> ، وإن كان عند غير ما غير مردود لاستناده إلى أصل آخر لا ينشأ من الآية ، وهو ثبوت رؤية الله تعالى في الآخرة بأدلة قرآنية وسنية تبلغ القطع ، ولا فرق في صحة الرؤية بين الدنيا والآخرة .

وردت هي وابن عباس خبر أبي هريرة في غسل اليدين قبل إدخالهما في الإناء ، استناداً إلى أصل مقطوع به ، وهو رفع الحرج وما لاطاقة به عن الدين ، فلذلك قال :

فكيف يصنع بالمراس ؟

وردت أيضاً خبر ابن عمر في الشؤم ( حديث ، إنما الشؤم في الالة : في الفرس والمرأة والدار ) وقالت كان رسول الله ﷺ يحدث عن أقوال الجاهلية ، لما رضته الأصل القطعي ، أن الأمر كله لله ، وأن شيئاً من الأشياء لا يفعل شيئاً ، ولا طيرة ولا عدوى ..

ثم نقل الإمام الشاطبي اعتبار الفقهاء لهذه المسألة المهمة واعتمادهم عليها في استنباط الأحكام<sup>(٢)</sup> ..

فقال الإمام مالك في حديث غسل الإناء من ولوغ الكلب سبعا :

جاء الحديث ولا أدري ما حقيقته ؟ ، وكان يضعفه ويقول :

يؤكل صيده فكيف يكره لعا به ؟

وأهل مالك اعتبار حديث « من مات وعليه صيام صام عنه وليه »

(١) سورة الأنعام — الآية ١٠٣ .

(٢) الموافقات في أصول الشريعة ج ٣ ص ١٤ .

لثنا فاته للأصل السكلى القرآنى د أن لا تزر وازرة وزر أخرى وأن إيس  
للإنسان إلا ماسعى (١) .

ولم يعتبر مالك فى الرضاع خمسا ولا عشرة للأصل القرآنى د وأمهائكم  
اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة (٢) .

### رأى الإمام السرخسى:

وقد ناقش الإمام أبو بكر بن أحمد السرخسى هذه المسألة قبل الأمام  
الشاطبى بثلاثة قرون (٣)، وقسم الرواة إلى قسمين : معروف ومجهول ،  
وقسم المعروف إلى نوعين : من كان معروفا بالفقه والرأى فى الاجتهاد ،  
ومن كان معروفا بالعدالة وحسن الضبط والحفظ ولكنه قليل الفقه .

فالنوع الأول كالألفاء الراشدين والعبادة وزيد بن ثابت ومعاذ بن  
جبل وأبى موسى الأشعرى وعائشة وغيرهم من المشهورين بالفقه من الصحابة  
رضى الله عنهم ، وخبرهم حجة موجبة للعلم الذى هو غالب الرأى ، ويتبنى  
عليه وجوب العمل سواء كان الخبر موافقا للقياس أو مخالفا له .

وأما المعروف بالعدالة والضبط والحفظ كأبى هريرة وأنس بن مالك  
رضى الله عنهما وغيرهما ممن اشتهر بالصحبة مع رسول الله ﷺ والسابع  
منه مدة طويلة فى الحضر والسفر ، لكنهم لم يبلغوا درجة الفقه والرأى  
كالنوع الأول ، فقد توقف الصحابة فى قبول مرويات هذا النوع إذا  
عارضت القياس الصحيح .

(١) سورة النجم — الآية ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) سورة النساء الآية ٢٣

(٣) توفى سنة ٤٩٠ هـ وتوفى الشاطبى سنة ٥٧٩ هـ

فقد رد ابن عباس 'خبر أبي هريرة' وتوضأوا بما مسته النار ، وقال :  
أرأيت لو توضأت بماء سخن أكنت تتوضأ منه ١٩ أرأيت لو ادهن أهلك  
بدهن فادهنت به شاربك أكنت تتوضأ منه ١٩

ورد ابن عباس خبر أبي هريرة 'من حمل جنازة فليتوضأ' ، وقال :  
أيلزمنا الوضوء في حمل عيدان يابسة ١٩

وردت عائشة خبر أبي هريرة 'إن ولد الزنا شر الثلاثة' ، وقالت :  
كيف يصح هذا وقد قال الله تعالى 'أن لا تزوروا زورا' وزر أخرى .

ولما بلغ عمر رضي الله عنه أن أبا هريرة يروى ما لا يعرف عمر قال :  
لتكفن عن هذا أو لألحقتك بجمال دوس .

ثم قال الإمام السرخسي كلمة انصاف وحكمة :

ولعل ظانا يظن أن في مقالتنا اذراء بأبي هريرة ، ومعاذ الله من ذلك ،  
فهو مقدم في العدالة والحفظ والضبط ، ولكن نقل الخبر بالمعنى كان  
مستقيضا فيهم .

والوقوف على كل معنى أراد رسول الله ﷺ بكلامه أمر عظيم ،  
فقد أوتي جوامع الكلم على ما قال 'أوتيت جوامع الكلم واختصر لي  
اختصاراً' .

ومعلوم أن الناقل بالمعنى لا ينقل إلا بقدر ما فهمه من العبارة ، وهذا  
قصور فهم السامع ربما يذهب عليه بعض المراد .

وهذا القصور لا يشكل عند المقابلة بما هو فقه لفظ رسول الله ﷺ .

— ١٣٣ —

فلتوهم هذا القصور قلنا :

إذا انسد باب الرأى فيما روى ، وتحققت الضرورة بكونه مخالفا  
للقياس الصحيح فلا بد من تركه ، لأن كون القياس الصحيح حجة —  
ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ، فما خالف القياس الصحيح من كل  
وجه فهو فى المعنى مخالف للكتاب والسنة المشهورة والإجماع ،<sup>(١)</sup> .

• • •

ثالثاً : اجتهاد الصحابة فى العهد النبوى :

نزل الوحي بالأحكام الشرعية وأعلنها الرسول ﷺ ، والتزم بها  
الصحابة التزاماً أميناً ، لكن أثبت الواقع أن الصحابة اجتهدوا فى فهم  
الحكم الشرعى على عهد رسول الله ﷺ وناقشوا الرسول فى بعض  
الأحكام وجادلوه فى حكمها .

ففى صحيح البخارى : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : إني أجنب  
فلم أصب الماء ، فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب : أما تذكر أنا كنا  
فى سفر ، أنا وأنت ، فأما أنت فلم تصل ، وأما أنا فتمكنت فصليت ،  
فذكرت ذلك للنبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : كان يكفيك هكذا ، فضرب  
النبي ﷺ بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه .

وفى شرحه لهذا الحديث قال ابن حجر :

وكان عماراً يستعمل القياس فى هذه المسألة ، لأنه لما رأى أن التيمم  
إذا وقع بدل الوضوء وقع على هيئة الوضوء — رأى أن التيمم عن  
الغسل يقع على هيئة الغسل . ولهذا تمك فى التراب أى تمرغ .

(١) أصول السرخسى — تحقيق أبو الوفا الأفتانى — ج ١ ص ٢٢٨

ط دار الكتب العلمية — لبنان

ويستفاد من هذا الحديث وقوع اجتihad الصحابة في زمن النبي ﷺ وأن المجتهد لا لوم عليه إذا بذل وسعه وإن لم يصب الحق ، وأنه إذا عمل بالاجتihad لا يجب عليه الإعادة ، (١) .

وفي صحيح البخاري عن طريق عكرمة عن ابن عباس :

أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ :  
البيئة أو حد في ظهرك .

فقال يارسول الله إذا رأيت أحدا مع امرأته رجلا ينطلق يلمس البيئة ؟  
فجعل النبي ﷺ يقول : البيئة أو حد في ظهرك .

فقال هلال : والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يرى  
ظهري من الحد .

فزل جبريل فأنزل الله : «والذين يرمون أزواجهم ، فقرأ حتى بلغ  
» إن كان من الصادقين ، (٢) .

إن الله تعالى جعل حد القاذف بالزنا ثمانين جلدة ما لم يأت بأربعة  
شهود لكن ما الحكم إذا قذف الرجل زوجته أخرج يلمس البيئة فيكون  
المشهد قد انتهى أم يسكت ويكون ديوانا ؟

لقد جاء هلال بن أمية يتهم امرأته بالزنا ولم يكن أمام الرسول بد من  
بيان حكم القذف العام الذي نزلت به الآيات ، وظل الرجل يجادل رسول  
الله ﷺ حتى نزل الوحي يستثنى الأزواج من هذا الحكم العام ويجعل  
لهم حكما خاصا هو اللعان .

(١) فتح الباري ج ١ ص ٤٤٤

(٢) سورة النور الآية ٦ : ٩



وأخرج الحاكم ومصححه عن عائشة رضى الله عنها قالت :

تبارك الذى وسع سمعه كل شيء ، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ، ويخفى على بعضه ، وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول :

« يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني ، حتى إذا كبر سنى وانقطع ولدى ظاهر منى ، اللهم إني أشكو إليك ، فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات « قد سمع الله قول التى تدادلك فى زوجها ، (١) وهو أوس ابن الصامت » .

إن الظهار كان طلاقاً فى الجاهلية ، وكان أوس بن الصامت شيخاً كبيراً ساء خلقه ، فظاهر من امرأته خولة بنت ثعلبة ، فجاءت تلتمس الفتوى من رسول الله فقال لها : قد حرمت عليه ، لكن المرأة كانت فى حاجة إلى زوجها أبى أولادها وعائلها وقالت : إني لى منه صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلى جاعوا ، وظلت تجادل رسول الله وتقول إنه لم يذكر طلاقاً ، حتى نزل الوحي بحكم جديد هو أن الظهار ليس طلاقاً وإنما فيه كفارة عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً على هذا الترتيب .

• • •

ومكذا فإن اجتهاد العلماء بعد ذلك وتعدد أفهامهم فى ضبط الأحكام وبيان الأصول أمر وارد وواقع ، فلنشأت المذاهب وتكاثر الفرق .

## الفكر الوافد

ليس هناك مجتمع على وجه الأرض لم يتأثر بالفكر الوافد، لكن تختلف الشعوب في مدى هذا التأثير.

وما كان عرب مكة إلا أثرًا للقاء زبناهيل غايه السلام، القادم من الشام، بامرأة عربية فلتشاً العرب المستعربة.

وقد عرفه عرب الجاهلية رحلة الشتاء والصيف، ونشأت عبادة الأصنام في مكة عندما حمل عمرو بن لحي الخزاعي الصنم «هبل» من الشام وأقامه فيها.

وقدم أبرهة من الحبشة وأقام كنيسة في صنعاء، وأراد صرف الناس عن تقديس الكعبة.

وفي صدر الإسلام أسلم بلال الحبشي وسلمان الفارسي ودخل الناس في دين الله من كل فج عميق.

وأشار الرسول ﷺ - على زيد بن ثابت أن يتعلم العبرانية أو السريانية فتعلمها زيد في سبع عشرة ليلة.

وحاول المسلمون الاتصال بأهل الكتاب والرواية عنهم فقال لهم رسول ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم.

وعرفت الإسرائيليات طريقها إلى كتب التفسير والحديث، إلا أن الفكر الوافد بدأ يتغلغل ويتبناه أفراد وجهات وتشرف عليه مؤسسات الدولة.

وتبلور الفكر الوفد في إتجاهين أساسيين هما :

— الاتجاه الفلسفي ..

— الاتجاه الصوفي ..

وقد اتخذ كل منها غطاء إسلامياً تسرب من تحته وسرى في عروق الأمة ..

لقد وجد الاتجاه الفلسفي ما يؤيد خطاه ممثلاً في عناية الإسلام بالعقل ودعوته إلى التأمل ورفعته لشأن العلم والعلماء ..

ووجد الاتجاه الصوفي ما يسانده ممثلاً في الزهد والعبادة والمجاهدة ..

### الغطاء الإسلامي للفلسفة :

تفرد سيدنا محمد ﷺ من بين سائر الأنبياء بأن آية نبوته كتاب يناجي العقل ويناديه صباح مساء :

« وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » (١) .

وإن أول آيات القرآن نزولاً كانت فتحة عجباً واستفتاحاً فريداً :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خالق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » .

وأكد القرآن تأكيده قوياً على ملائمة قضايا الدين لقواعد العقل ، واستقامتها على هدى الفطرة النقية ، فخاطب أولى الألباب كما في قوله تعالى : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب » (٢) .

وأولى العلم كما في قوله تعالى :

«شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط» (١)  
والعلماء كما في قوله تعالى :

«إنما يخشى الله من عباده العلماء» (٢) .

والعالمين كما في قوله تعالى :

«إن في ذلك لآيات للعالمين» (٣) .

والمتوسمين أى المتأملين أصحاب الوعى والفهم ، كما في قوله تعالى :

«إن في ذلك لآيات للمتوسمين» (٤) .

ودعا القرآن إلى التأمل واستنمض العقول بأساليب شتى فقال :

«أفلا تعقلون» (٥) .

«لعلكم تعقلون» (٦) .

«لعلكم تتفكرون» (٧) .

«فلولا تذكرون» (٨) .

(١) سورة آل عمران الآية ١٨

(٢) «فاطر» ٢٨

(٣) «الروم» ٤٢

(٤) «الحجر» ٧٥

(٥) «البقرة» ٤٤

(٦) «» ٧٣

(٧) «» ٢١٩

(٨) «الواقعة» ٦٢

« أفلا يتدبرون، (١) » .

وقد ناقش علماء المسلمين مسائل الدين وقضاياها على هدى العقل والفطرة ، وانطلقوا من قاعدة أساسية هي أن الأدلة الشرعية لا تتنافى مع مسلمات العقول ولا تصادم الفطر ولا تنأى عن العلم . .

وقد ساق الإمام الشاطبي خمسة وجوه للدلالة على ذلك هي :

أحدها : أنها لو ناقها لم تكن أدلة للعباد على حكم شرعى ولا غيره .  
لكنها أدلة باتفاق العقلاء .. فدل أنها جارية على قضايا العقول . .  
ويبان ذلك أن الأدلة إنما نصبت في الشريعة لتتلقاها عقول المكلفين حتى يعملوا بمقتضاها من الدخول تحت أحكام التكليف ، ولو ناقها لم تتلقها فضلا أن تعمل بمقتضاها ، وهذا معنى [ قولنا لم تكن أدلة للعباد على حكم شرعى ولا غيره ] .

ويستوى في هذا الأدلة المنصوبة على الأحكام الإلهية وعلى الأحكام التكليفية .

الثاني : أنها لو ناقها لكان التكليف بمقتضاها تكليفا بما لا يطاق ، وذلك من جهة التكليف بتصديق ما لا يصدق العقل ولا يتصوره ، بل يتصور خلافه ويصدق .

فإذا كان كذلك امتنع على العقل التصديق ضرورة ، وقد فرضنا ورود التكليف المناقى التصديق ، وهو معنى تكليف ما لا يطاق ، وهو باطل حسبما هو مذكور في الأصول .

الثالث : أن مورد التكليف هو العقل ، وذلك ثابت قطعا بالاستقراء

التام ، حتى إذا فقد ارتفع التكليف رأساً ، وبعد فاقده ذليمة المهمة ، هذا واضح في اعتبار تصديق العقل بالأدلة في لزوم التكليف .

فلو جاءت على خلاف ما يقتضيه لكان لزوم التكليف على العاقل أشد من لومه على المعتوه والصبي والنائم ، إذ لا عقل لهؤلاء يصدق أو لا يصدق ، بخلاف العاقل الذي يأتيه ما لا يمكن تصديقه به .

ولما كان التكليف ساقطاً عن هؤلاء ، لزم أن يكون ساقطاً عن العقلاء أيضاً ، وذلك منافي لوضع الشريعة ، فكان ما يؤدي إليه باطلاً .

الرابع : أنه لو كان كذلك لكان الكفار أول من رد الشريعة به ، لأنهم كانوا في غاية الحرص على رد ما جاء به رسول الله ﷺ ، حتى كانوا يفترون عليه وعليها ، فتارة يقولون : ساحر ، وتارة : مجنون ، وتارة : يكذبونه ، كما كانوا يقولون في القرآن : سحر . وشعر ، وافتراء ، وإنما يعلمه بشر ، وأساطير الأولين .

بل كان أول ما يقولون إن هذا لا يعقل ، أو هو مخالف للعقول ، أو ما أشبه ذلك .

فلما لم يكن من ذلك شيء — دل على أنهم عقلوا ما فيه ، وعرفوا جريانه على مقتضى العقول ، إلا أنهم أبوا من اتباعه لأمر آخر ، حتى كان من أمرهم ما كان ، ولم يعترضه أحد بهذا المدعى فكان قاطعاً في نفيه عنه .

الخامس : أن الاستقراء دل على جريانها على مقتضى العقول ، بحيث تصدقها العقول الراجعة وتنقاد لها طائفة أو كارهة (١) ، ولا كلام في عناد معاند ، ولا في تجاهل متعام .

---

(١) قال محقق الكتاب : أي رغبة في ذلك بدون سبق عناد =

- ١٤١ -

وهو المعنى بكونها جارية على مقتضى العقول، لأن العقول حكمة عليها ولا محسنة فيها ولا مقبحة....<sup>(١)</sup>، أهـ .

وقد رد الإمام الشاطبي على من زعم أن في القرآن ما لا يعقل معناه كفواتح السور والمتشابهات وقال :

إن فواتح السور للناس في تفسيرها مقال بناء على أنه مما يعلمه العلماء .

وإن قلنا إنه مما لا يعلمه العلماء فليس مما يتعلق به تكليف على حال ، فإذا خرج عن ذلك خرج عن كونه دليلا على شيء من الإهمال ، فليس مما نحن فيه .

وإن سلم فالقسم الذي لا يعلمه إلا الله تعالى في الشريعة نادر، والناحد لا حكم له ، ولا تخزم به الكلية المستدل عليها أيضا لأنه مما لا يهتدى العقل إلى فهمه ، وليس كلامنا فيه ، إنما الكلام على ما يؤدى مفهوما لكن على خلاف المعقول .

وفواتح السور خارجة عن ذلك لأننا نقطع أنها لو بينت لنا معانيها لم تكن إلا على مقتضى العقول وهو المطلوب .

وإن المتشابهات ليست مما تعارض مقتضيات العقول ، وإن توم بعض الناس فيها ذلك ، لأن من توم فيها ذلك فبناء على اتباع الهوى كما نصت عليه الآية « فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه

---

أو مع سبقه ، والكراه غير الإكراه ، الذي لا يتأتى معه التصديق والانتقاد العقلي .

(١) الموافقات في أصول الشريعة ح ٣ ص ١٩ : ٢٠

— ١١٢ —

منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، (١) .

لأنه بناء على أمر صحيح ، فإنه إن كان كذلك فالتأويل فيه راجع إلى معقول موافق لا إلى مخالف .

وإن فرض أنها مما لا يعلمها أحد إلا الله ، فالحق قول عنها مصدودة لأمر خارجي لا لمخالفتها (٢) . .

• • •

#### الغطاء الإسلامي للتصوف :

بما لا شك فيه أنه الإسلام دعا إلى الزهد في الدنيا بمعنى أن قلب المسلم ينبغي أن يكون مفرغاً للحق الأعلى ومتعلقاً بالباقيات الصالحات ، لا تشغله هموم الحياة ، ولا يقلقه مستقبل الأيام ، ثم هو يعيش قائماً بما قسم الله له ، يسعى في مناكب الأرض ويعمرها ويأخذ بالأسباب ..

وحرص الإسلام على تنقية السلوك الإنساني من الشهوات الآتية ، ودفع المسلم إلى المجاهدة للنفس الإمارة بالعبادة الخالصة والتقنوت لله تعالى ، ومداومة الذكر بالقلب واللسان آتاء الليل وأطراف النهار ، في إطار القصد والمقاربة والتيسير ، وبلا رهبانية وانتطاع ..

ونصوص الشرع في ذلك أكثر من أن تحصى . .

---

(١) سورة آل عمران — الآية ٧

(٢) الموافقات في أصول الشريعة ج ٢ ص ٢١



### فمن نصوص العبادة :

قال الله تعالى « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » (١).

وقال جل شأنه « واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا » (٢).

وفي صحيح البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله تعالى قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيننه » .

### ومن نصوص الزهد :

قال الله تعالى « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب » (٣) .

وقال جل شأنه :

« اعلبوا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل خيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا

---

(١) سورة الحجر - الآية ٩٩ .

(٢) سورة المزمل - الآية ٨ .

(٣) سورة آل عمران - الآية ١٤ .

ثم يكون حطاما ، وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ،<sup>(١)</sup> .

وفي صحيح البخارى بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة بالمدينة فاستقبلنا أحد فقال : يا أبا ذر ، قلت : لبيك يا رسول الله فقال : ما يسرنى أن عندى مثل أحد هذا ذهابا ، تمضى على ثلاثة أيام وعندى منه دينار ، إلا شيء أرصده لدين ، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا ، عن يمينه وعن شماله وعن خلفه ، ثم سار فقال : إن الأكثرين هم المفلون يوم القيامة إلا من قال بالماله هكذا هكذا وهكذا ، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه ، وقليل ما هم .

ومن نصوص التيسير :

عندما نزل صدر سورة المومل « يا أيها المومل قم الليل إلا قليلا ، قام الرسول ﷺ وأصحابه حتى تورمت أقدامهم فنزل آخرها بالتيسير في قوله تعالى « إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ، ونصفه وثلثه ، وطائفة من الذين معك ، والله يقدر الليل والنهار ، علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسر من القرآن ، علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يكاتلون في سبيل الله فاقراءوا ما تيسر منه . . » .

وفي صحيح الحديث عن أنس رضى الله عنه قال :

جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي . فقلنا أخبروا كأنهم تقالوها وقالوا : أين نحن من النبي ﷺ ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فأصل أبدا .

- ١٤٥ -

وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر .

وقال الآخر : وأنا أعزل النساء فلا أتزوج أبدا .

لجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس منى .

### حب آل بيت النبي ﷺ :

إن حب آل بيت النبي ﷺ كان من عناصر الغطاء الإسلامى للفكر  
الوافد فى اتجاهه العرفى والشيعى .

إن حب آل بيت النبي ﷺ أمر مقرر شرعا لا جداله فيه ، بنصوص  
القرآن والسنة .

قال الله تعالى : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت  
ويطهركم تطهيرا ، (١)

وقال جل شأنه : قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى ، (٢) .

وأخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن يزيد بن حبان قال : انطلقت أنا  
وحسين بن سبرة ، وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضى الله عنهم ، فلما  
جلسنا إليه قال له حسين :

لقد لقيت يازيد خيرا كثيرا ، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت  
حديثه ، وضوت معه ، وصليت خلفه ، لقد لقيت يازيد خيرا كثيرا ،

---

(١) سورة الاحزاب — الآية ٣٣ .

(٢) سورة الشورى — الآية ٢٣ .

— ١٤٦ —

حدثنا يزيد ما سمعت من رسول الله ﷺ ، قال : يا ابن أخي والله لقد كبرت سني ، وقدم عهدي ، ونسيت بعض الذي كنت أروي من رسول الله ﷺ ، فما حدثتكم فاقبلوا ، وإلا فلا تسكتفوني ثم قال :

قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا جاء يدعي خما ، بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه . ورعظ وذكر ثم قال :

أما بعد — ألا أيها الناس فإنما أنا بشر ، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به .

لحق على كتاب الله ورغب فيه ثم قال :

وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي .

فقال له حسين : ومن أهل بيته يزيد ؟ ألبس نسائه من أهل بيته ؟ قاله : نسائه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده ، قال : ومن هم ؟ قال : هم آل علي وآل عقیل وآل جعفر وآل عباس ، قال : كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم .

هذا وما من مسلم يصلي صلاة إلا ويدعو لآل بيت النبي ﷺ .

فيقول في التشهد : اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

• • •

## الترجمة :

انطلاقاً من وقائع العهد النبوي ودعوة الإسلام إلى العلم وحرصه على العقل بدأت جهود فردية للترجمة من الفكر الأجنبي إلى اللغة العربية . .  
ويعد خالد بن يزيد بن معاوية أول من ترجم له كتب الطب والنجوم والكيمياء . .

وكانت الكيمياء تعنى يومئذ صناعة الذهب والفضة من غير معادنها ، واهتم بها خالد بن يزيد لكي يغني أصحابه وإخوانه وقال :

إني طمعت في الخلافة فاخترت دوني فلم أجد منها عوضاً إلا أن أبلغ آخر هذه الصناعة فلا أحوج أحداً عروفي يوماً أو عرفته إلى أن يقف بيناب سلطان رغبة أو رهبة ، وساق ابن النديم أنه يقال — والله أعلم — :

أنه صح له عمل الصناعة ، وله في ذلك عدة كتب ورسائل ، وله شعر كثير في هذا المعنى ، رأيت منه نحو خمسمائة ورقة ، ورأيت من كتبه كتاب الحراوات ، وكتاب الصحيفة الكبير ، وكتاب الصحيفة الصغير ، وكتاب وصيته إلى ابنه في الصنعة (١) .

ثم انتقلت الترجمة إلى رعاية الدولة واهتمام السلطة الحاكمة ، فترجم المنطق في عهد أبي جعفر المنصور ، وكان سخيماً مع المترجمين رغم شهرته بالبخل وذلك لخدمة الجدل الساخن الذي دار يومئذ بين الفرق الإسلامية.

وأخذت الترجمة في الاتساع والتنوع في عهد هارون الرشيد ، واكتمل عقدها في عهد المأمون . .

---

(١) الفهرست لابن النديم ط دار المعرفة — بيروت .

ومن المواقف المشهورة أن هارون الرشيد طاب بعد فتح الجبل  
الإسلامي لعمورية وأنقرة — تسليم المخطوطات الإغريقية القديمة وأن  
المأمون عندما انتصر على ميخائيل الثالث قيصر يظفره طالبه بتسليم كتب  
الفلاسفة القدماء وسجل ذلك في وثيقة الصلح . .

وتعاقب المستشرقة الألمانية زيفريد هونكه على ذلك قائلة :

أليس هذا فتحاً جديداً في عالم الحرب ؟  
أليس ذلك دليلاً فذاً على أن الحروب الإسلامية كانت حروب سلام  
وأمن ومجد ؟ (١٦) .

وإجماع المؤرخين على أن الترجمة إلى العربية أنقذت التراث القديم  
كله من الضياع . . فلم تكن أوروبا يومئذ تعرف شيئاً عنه أو تهتم به  
أو تحرص عليه . .

والملاحظة الجديرة بالاعتبار أن المترجمين كانوا نصارى أو يهوداً  
أو صابئة يعملون في مهنة الطب والفلك مثل : آل ماسرجوية الطبيب  
اليهودي وآل بختيشوع وهو طبيب . من نساطرة النصارى وآل ماسوية  
وهو طبيب نصراني ، وآل حنين بن اسحق وهو طبيب نصراني نسطوري .

وعمل بعضهم في الفلك والرياضيات مثل آل ثابت بن قرة وهو منجم  
صابئي ، وجمع بعضهم بين الطب والمنطق مثل يحيى بن عدى وهو نصراني  
يعقوبي ، (١٧) .

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب — ترجمة فاروق ييغون وكاله  
دسوقي منشورات دار الآفاق الجديدة — بيروت .

(٢) راجع طبقات المترجمين في كتاب . تاريخ الفكر العربي إلى أيام  
ابن خلدون ، عمر فروخ ص ٢٧٥ ط دار العلم للملايين — بيروت .

لقد قام هؤلاء المترجمون بالنقل من لغات العالم السائدة في اليونان وفارس والهند والصين ، وتجمع لدى المسلمين مذاهب الفلسفة اليونانية الطبيعية والإلهية والأخلاقية ، ومذاهب الفلاسفة الشرقية البوذية والمجوسية والزرادشتية وغيرها ..

وأصبحت قضايا الفكر الإسلامي ممزوجة بمقائد التناسخ والحلول والاتحاد ، واللاهوت والناسوت ، ونظرية المثل والعقول العشرة وغيرها.

وتضارعت حول هذه القضايا والعقائد — فرق ومذاهب إسلامية ووقف الفلاسفة والمتصوفة وعلماء الكلام والفقهاء والمحدثون في مواجهات شائكة ..

## التجديد الديني

جاء لفظ « الجديد » في آيات قرآنية مثل قوله تعالى :  
 « وإن تعجب فعجب قولهم أنذا كنا ترابا أنمنا لنبي خالق جديد » (١) .  
 وقوله جل شأنه : وقالوا أنذا كنا عظاما ورفاتا أنما لمبعوثون خلقنا  
 جديداً » (٢) .

وقوله سبحانه « وقالوا أنذا ضللنا في الأرض أنمنا لنبي خلق جديد » (٣) .  
 والمراد بالخلق الجديد هنا البعث وإعادة الإنسان مرة أخرى يوم  
 القيامة للحساب والجواز ..

وتشير اللغة العربية إلى أن الجديد يقابل الخلق ، وأن الجودة  
 — بالكسر — تقابل البلى ..

وعندما تسكلم عن التجديد في الدين نريد به إعادة الناس إلى حقائق  
 الدين ، ودعوتهم إلى الالتزام بشرائع الإسلام والوفاء بعهد الله ..  
 وقد كان الناس قبل البعثة المحمدية يجدد دينهم بالانبياء ليعيدوم إلى  
 الحق وليحكموا بينهم فيما اختلفوا فيه ..

قال الله تعالى « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين  
 ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه  
 وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى

(١) سورة الرعد : الآية ٥

(٢) الإسراء : الآية ٤٩

(٣) السجدة : الآية ١٠



الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق ياذنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، (١) .

وقد ختمت الرسالات ببعثة سيدنا محمد ﷺ ، فلا نبي بعده ولا رسول يعقبه ، وكلت الشريعة .. قال تعالى واليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ، (٢) .

فإذا اندرست معالم الدين بين المسلمين كان العلماء ورثة الأنبياء ، يقومون بتجديد الدين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمحافظة على أصول الدين وأحكامه ..

وفي صحيح البخارى بسنده عن المنيرة بن شعبة ، عن النبي ﷺ قال : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون .

وفي رواية عن معاوية قال : سمعت النبي ﷺ يقول : لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك .

وقد فسر الإمام البخارى هذه الطائفة بأنهم أهل العلم ، وفسرها الإمام النووى بأنها جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ، ما بين شجاع وبصير بالحرب ، وفقه ومحدث ومفسر ، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وزاهد وعابد .. وقال : لا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد واقترافهم في أقطار الأرض ، (٣) .

(١) سورة البقرة : الآية ٢١٣

(٢) د المائدة : الآية ٣

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ١٣ ص ٢٩٥

وجاء في حديث رواه أبو داود ، وصححه الأئمة ، قول رسول الله ﷺ : إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يد لها ديناً .

واختلف العلماء في شرح هذا الحديث من وجوه :

هل المراد بالأمة أمة الإجابة أو أمة الدعوة ؟

وهل اعتبار المائة من الميلاد أو من البعثة أو من الهجرة أو من الوفاة ؟

وهل المراد برأس المائة آخرها أو أولها ؟

وهل المبعوث واحد أو متعدد ؟

وأياً ما كان فالمراد هو استمرار الدعوة إلى هذا الدين القيم ، وتحمل المؤمنين الصادقين لتبعات هذه الدعوة ، وهناية الله تعالى ووعده بحفظ الإسلام . .

وبما لا يخفى أن البحث ليس مراداً به بعث النبوة فإن النبوة قد انقطعت بعد سيدنا محمد ﷺ ، وإنما هو بعث إيجاد وتديير وعناية تصديقاً لقوله تعالى « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون » (١) .

وقد اجتهد العلماء في تعيين المجددين على مدى القرون السوالم إلا أن خير المجددين هو عيسى ابن مريم عليه السلام ، فظاهر القرآن وصريح السنة يؤكد نزول عيسى ابن مريم إلى الأرض في آخر الزمان ليكون حجة على اليهود والنصارى ويدعوهم إلى دين الإسلام ويجمع الناس على الحق ..

فقد أخرج البخارى في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : والذي نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم

ابن مريم حكماً عدلاً ، فيكسر الصليب ويقتل المنزير ، ويضع الجوزية ،  
ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، وحتى تكون السجدة خيراً له من الدينار  
وما فيها ..

ثم يقول أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم ، وإن من أهل الكتاب  
إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ،<sup>(١)</sup>  
هذا وقد أتى على الأمة الإسلامية حين من الدهر كانت مصائرهما بيد  
المستعمر الدخيل الذي احتل الأرض وأفسد العقيدة ، وطمس معالم الحق ،  
ومزق وحدة الأمة ..

وشاء الله أن يحمل المستعمر عصاه على كاهله ويرحل ، لكنه خلف  
وراءه منافقين ، وسدنة لفكره ، ودعاة على أبواب جهنم ..  
فتنازعت الأمة الإسلامية وتنازعتها اتجاهات شتى تحت دعاوى  
الإصلاح والتجديد والتقدم والحضارة ..

ومن عجب أن تبرز دهوة البابية والبهائية والقديانية تحت ظلال  
الاستعمار البريطاني للهند ، وفي حماية اليهود ، ويتخذ أنصار هذه الفرق  
مدينة هكا الفلسطينية المحتلة ، كعبة لهم وملأذا آمنوا لفلولهم ..

وتقوم الجماعات الصليبية بالدعم السخى لهذه الفرق في كل مكان  
يتواجدون فيه ..

لأن هذه الفرق المنتسبة للإسلام تدعى استمرار النبوة وتمتحدث  
تشريعات عصرية تخالف أحكام الإسلام ، أهمها تحريم الجهاد ..<sup>(٢)</sup>

---

(١) سورة النساء : الآية ١٥٩

(٢) من المفارقات خلال انفجار سوق القدس في شهر يوليو  
سنة ١٩٩٧م كان من بين القتلى شاب روسي يهودي ، ورفض اليهود دفنه ..

كما قامت فرق وجهات - تحت دهورى التجديد لدينى - منها ما هو متطرف يحمل السلاح ويدمر كل شىء فى المجتمع المعاصر ..  
ومنها ما هو سوى يلتزم بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ..

ومنها ما هو سياسى ، يسعى إلى السلطة ويتخذ الدين وسيلة لمآربه ويدعى أنه مصلح أو داعية أو المهدي المنتظر (١) ..

ومنها ما هو علماني يريد فصل الدولة عن الإسلام ، وعزل المجتمع عن الدين ، وتنحية منهج الله عن قيادة الحياة ..

وأثيرت قضايا تتعلق بالإصلاح السياسى والتربوى ، وتطبيق الشريعة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وحقوق المرأة ، والحلال والحرم فى الفن .. الخ .

وتعددت الاجتهادات ..

وبعد ..

فهذه دعوة للحوار ، وتلك هى محاوره التى يدور حولها الاجتهاد ، وجميع الفرقاء مطالبون أن يدلوا بأرائهم ويسوقوا أدلتهم ، وينظروا فى فكر الآخرين ويتفحصوا الدلائل والبيانات بصفاء النية وحسن الوعى وإخلاص القلب لله ..

فى مقابرهم لأنه ليس يهودياً خالصاً ورفضت الكنيسة الرومانية دفنه فى مقابرهم لأنه ارتد عن المسيحية ، وأخيراً دفن فى مقابر البهائيين .

(١) فى غرة المحرم سنة ١٤٠٠هـ استولى جماعه من الشباب على الحرم المكيützعمهم جهمان العتيبي ، ودعوا المسلمين إلى بيعة محمد بن عبد الله القحطاني بدعوى أنه المهدي المنتظر ، واستمرت المعارك فى الحرم الشريف خمسة عشر يوماً راح ضحيتها المئات من الركن السجود .

## المؤلف في سطور

د . محمد سيد أحمد المسير

— أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين — جامعة الأزهر بالقاهرة .

— عمل أستاذاً مشاركاً ثم رئيساً لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في كلية التربية — فرع جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ١٩٨٣ — ١٩٨٧ م .

— أدير أستاذاً في كلية الدعوة وأصول الدين — جامعة أم القرى بمكة المكرمة من سنة ١٩٩٣ م .

— عمل عميداً لمعهد الإمامة للدراسات الإسلامية التابع للجمعية الشرعية بالمطرية .

— عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف .

— عضو جمعية الدراسات الإسلامية بالإمالة .

— عضو الجمعية الفلسفية المصرية .

— يكتب المقالات في المجلات والصحف الإسلامية في مصر والعالم الإسلامي .

— يشارك في البرامج الدينية الإذاعية والتلفزيونية لمصر والعالم الإسلامي .

— كان الأول على طلاب الجمهورية في الشهادة الإعدادية الأزهرية عام ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م من معهد شبين الكوم الدينى .

— ١٥٦ —

- كان السادس عشر على طلاب الجمهورية في الثانوية الأزهرية عام ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م، وكانت المرحلة الثانوية يومئذ خمس سنوات .
- حصل على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف في الشهادة العالية من قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة عام ١٣٩٣ - ١٩٧٣ م .
- حصل على الدكتوراة بمرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر عام ١٣٩٨ هـ - ١٩٨٧ م .

شارك في المؤتمرات والملتقيات الفكرية مثل :

- المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر فى رجب ١٤٠٨ هـ .
- ندوة الفقه الإسلامى فى سلطنة عمان فى شعبان ١٣٠٨ هـ .
- الموسم الثمانى لشهر رمضان فى دولة الكويت ١٤٠٩ هـ .
- الندوة القومية لمواجهة الدس الشعبوى فى بغداد من ٢٢ : ٢٤ لشهر جمادى الأولى ١٤١٠ هـ .
- المؤتمر الإسلامى العالمى لمناصرة العراق المنعقد فى بغداد فى شهر ذى القعدة ١٤١٠ هـ ( قبل القزو ) .
- المؤتمر القومى الذى نظمه المركز العربى للإعلام بالقاهرة تحت عنوان « الإدمان قضية العصر » من ١٨ : ٢٠ من فبراير ١٩٩٠ م .
- المؤتمر الإسلامى العالمى لمناقشة أزمة الخليج الذى نظمته رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة من ٢١ : ٢٣ من صفر ١٤١١ هـ .
- الندوة العالمية لمناقشة حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب فى طهران بتاريخ ٩ : ١٢ من سبتمبر ١٩٩١ م .
- المهرجان الإسلامى العالمى فى الكويت للإفراج عن الأسرى والمحتجزين فى سجون العراق ، من ١٩ : ٢١ يناير ١٩٩٢ م .

- ١٥٧ -

- الموسم الثقافي لشهر رمضان في دولة الإمارات العربية المتحدة ١٤١٢ هـ.
- ندوة الإعلام الإسلامى بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل التى نظمتها مؤسسة اقرأ الخيرية بالتعاون مع جامعة الأزهر فى ذى القعدة ١٤١٢ هـ - مايو ١٩٩٢ م.
- سافر مع وزير الأوقاف المصرى ضمن وفد رسمى لزيارة دولة الكومنولث الإسلامية بتاريخ ١٣ : ٢٥ من سبتمبر ١٩٩٢ م.
- المؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر من ٢ : ٥ شهر جمادى الأولى سنة ١٤١٣ هـ .
- مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم الذى نظمته رابطة الجامعات الإسلامية بالاشتراك مع جامعة الأزهر سنة ١٤١٣ هـ .

## كتب المؤلف

### في العقيدة

- ١ — في نور العقيدة الإسلامية .
- ٢ — أدب الحديث عن الله .
- ٣ — علم التوحيد للشهادة الإعدادية الأزهرية .

### في الفلسفة

- ٤ — الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة .
- ٥ — المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي وموقف الإسلام منه .

### في الأديان

- ٦ — المدخل لدراسة الأديان .
- ٧ — أصول النصرانية في الميزان .
- ٨ — أوروبا والنصرانية .
- ٩ — المسيح ورسالاته في القرآن .
- ١٠ — عبادة الشيطان في البيان القرآني والتاريخ الإنساني ، تحت الطبع .

### في الفرق الإسلامية

- ١١ — قضية التكفير في الفكر الإسلامي .
- ١٢ — الحوار بين الجماعات الإسلامية .
- ١٣ — مقدمة في دراسة الفرق الإسلامية .



في السيرة النبوية

- ١٤ - الرسول في رمضان .
- ١٥ - الرسول حول الكعبة .
- ١٦ - الرسول والوحى .
- ١٧ - الرسول وقضايا المجتمع .
- ١٨ - الرسول والمواقفات .

في الشريعة الإسلامية

- ١٩ - مجاورة تطبيق الشريعة .
- ٢٠ - نحو دستور إسلامي .
- ٢١ - أخلاق الأسرة المسلمة .

تحقيق مؤلفات فضيلة الدكتور سيد أحمد رمضان المسير

— رحمه الله تعالى —

- ٣٢ - السنة مع القرآن .
- ٣٣ - السنة المطهرة .
- ٣٤ - إلزام القرآن للباديين والمليين .
- ٣٥ - دراسات قرآنية .

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٤٨ — ٩	الباب الأول: ضرورة الحوار
٣٠ — ١١	الفصل الأول: الحوار وأنواعه في البيان القرآني
١٣	• تعريف الحوار
١٤	• أنواع الحوار في أطرافه
١٥	• أنواع الحوار في موضوعاته
١٥	• أنواع الحوار في أوقاته
١٥	• أنواع الحوار في نتائجه
١٥	• النماذج القرآنية
١٥	١ — بين الله وملائكته
١٦	٢ — بين الله ورسله
١٧	٣ — بين الله تعالى وإبليس
١٨	٤ — بين الأنبياء والملائكة
٢٠	• بين الأنبياء والأولياء
٢٢	٦ — بين الأنبياء وأرحامهم
٢٣	٧ — بين الأنبياء وأقوامهم
٢٦	٨ — بين البشر بعضهم بعضا
٢٨	٩ — من نماذج الحوار في الآخرة
٣١	الفصل الثاني: مخاطر الأهواء
٣٤	• من البيان القرآني

الموضوع	الصفحة
• من تاريخ الفرق	٣٨
• الإرهاب السياسى	٣٨
• الإرهاب الفكرى	٤٠
١ - وضع الأحاديث	٤١
٢ - الأحكام الجائرة	٤٣
٣ - المقارنات غير المتصفة	٤٦

\* \* \*

الباب الثانى : ضوابط الحوار	٤٩ - ٨٢
الفصل الأول : الاجتهاد بين العقيدة والفقہ	٥١ - ٦٨
• تعريف الاجتهاد	٥٣
• مؤهلات المجتهد	٥٤
• حكم الخطأ فى الاجتهاد	٥٥
( أ ) رأى الإمام الغزالى	٥٦
( ب ) مذاهب المخالفين	٥٨
( ج ) رد الإمام الغزالى	٥٩
( د ) تعقيب وبيان	٦٠
( هـ ) رأى الإمام الطوفى	٦٦
الفصل الثانى : أصول الإسلام	٦٩ - ٨٢
أولاً : توحيد الله عز وجل	٧٢
ثانياً : النبوة والأنبياء	٧٣
ثالثاً : الكتب المنزلة	٧٤
رابعاً : الملائكة	٧٤

الصفحة	الموضوع
٧٥	خامساً : اليوم الآخر
٧٦	سادساً : ما علم من الغيب بالضرورة
٧٧	• ضابط الأصول والفروع
	• • •
٨٣	الباب الثالث : قضايا الحوار
٨٥	• تمهيد
٨٦	• التوحيد والصفات الإلهية
٨٦	— تساؤلات القرآن
٨٨	— حوار القرآن مع أهل الكتاب
٩٠	— تساؤلات السنة
٩٢	— تساؤلات الفرق
٩٥	• القضاء والقدر
٩٥	— موقف المشركين
٩٧	— موقف المنافقين
٩٩	— موقف الصحابة
١٠٣	— موقف الفرق
١٠٤	• الإمامة والخلافة
١٠٤	— وفاة الرسول
١٠٦	— مؤتمر السقيفة
١٠٩	— موقف علي بن أبي طالب
١١٣	— الفتنة الكبرى
١١٣	( أ ) خلافة عثمان بن عفان
١١٦	( ب ) خلافة علي بن أبي طالب
١١٩	• الوعد والوعيد

الصفحة	الموضوع
١٢٣	• فقه العبادات والمعاملات
١٢٣	أولاً : أدلة القرآن الكريم
١٢٤	( أ ) أسباب النزول
١٢٥	( ب ) فقه اللغة العربية
١٢٧	( ج ) النسخ والمنسوخ
١٢٨	ثانياً : السنة النبوية
١٢٩	— رأى الإمام الشاطبي
١٣١	— رأى الإمام السرخسي
١٣٣	ثالثاً : اجتهاد الصحابة في العهد النبوي
١٣٦	• الفكر الوافد
١٣٧	— الغطاء الإسلامي للفلسفة
١٤٢	— الغطاء الإسلامي للتصوف
١٤٥	حب آل بيت النبي ﷺ
١٤٧	— الترجمة
١٥٠	• التجديد الديني
١٥٥	• المؤلف في سطور
١٥٩	• فهرس الموضوعات

رقم الإيداع بدار الكتب

١٠٧٨٨ لسنة ١٩٩٧ م

I.S. B.N - 977 - 19 - 4207 - 2

في ١٥ / ٩ / ١٩٩٧ م



 Библиотека Александрина



0433976